الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار –

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

البنية السردية في رواية "أنا وحايبه" للحبيب السايح

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبين:

- محمد الطيب
- عبد الله بلوافي

إشراف الدكتورة:

- كريمة صنباوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
الأستاذة: كريمة صنباوي	أستاذ محاضر «أ»	مشرفاً ومقرراً
الأستاذ: سعيد نواصر	أستاذ محاضر «أ»	خبير 1
الأستاذة: فايزة لحياني	أستاذ محاضر «أ»	خبير 2

الموسم الجامعي :1442/1441هـ الموافق 2020/ 2021م

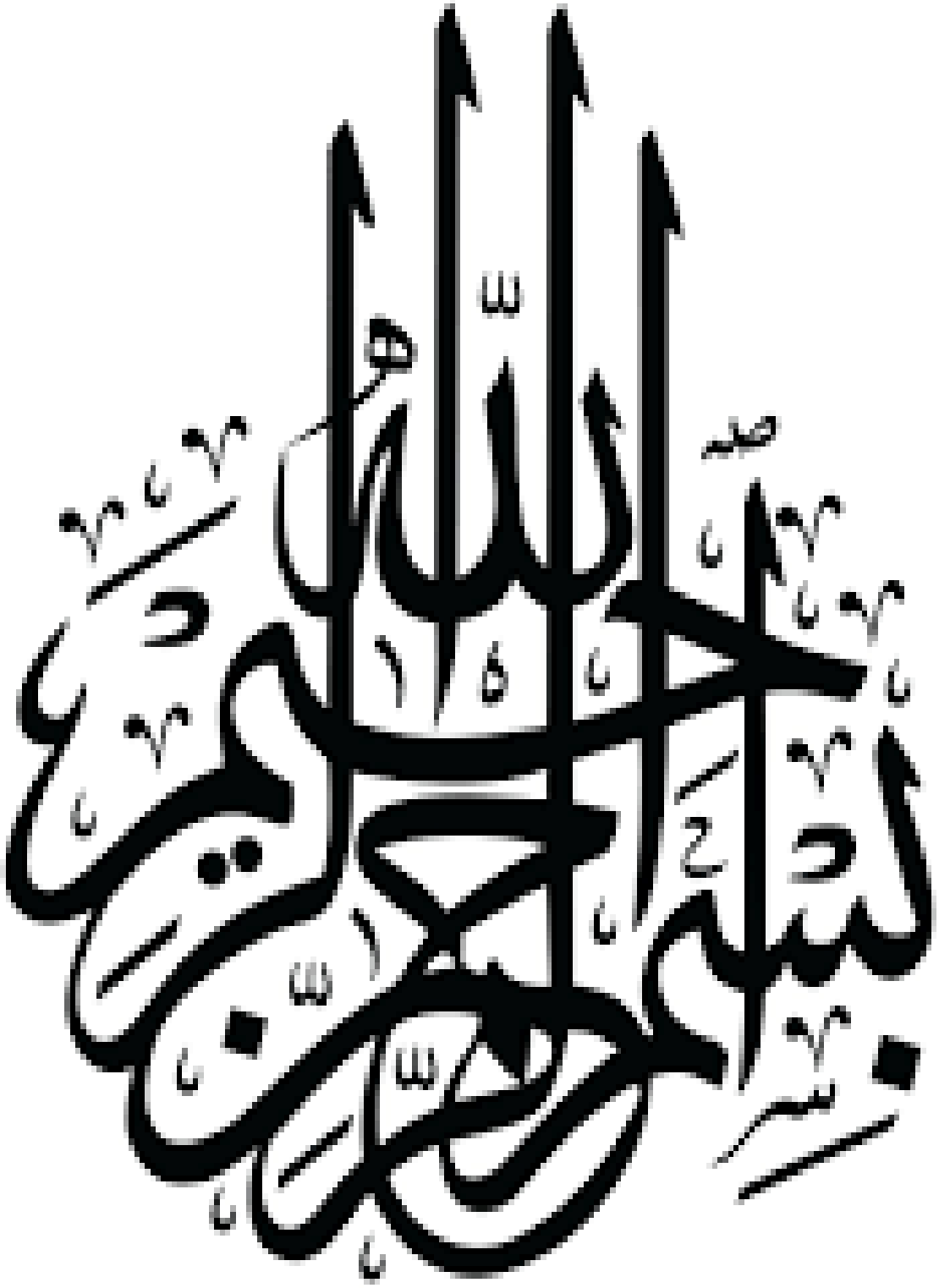
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام وإنجاز هذا البحث، حمداً كثيراً لا ينقطع أوله ولا ينتهي آخره، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه سلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من كان لنا عونا في إتمام هذا العمل، ونخص بالذكر أساتذنا الفاضلة "**كريمة صنباوي**" على ما قدمته لنا من توجيهات، ونصائح وملاحظات وعلى صبرها معنا طيلة إنجاز هذا البحث، فقد كانت لنا خير مشرفة ومرشدة، حيث لم تتوان في أي لحظة عن تقديم ملاحظاتها القيمة أثناء كتابتنا لمختلف مراحل هذا البحث، نسأل الله أن يجزيها عنا خير الجزاء وأن يجعلها ذخراً للعلم والمعرفة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة الأدب العربي في جامعة أدرار، مرة أخرى إلى كل هؤلاء نجدد شكرنا.

إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من تحملت عنت الزمان ورافقتني في كل لحظات عمري، في فرحي وحزني، إلى منبع الرقة والحنان، ومن كان دعائها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب، أمي أطال الله في عمرها.

إلى من أحمل اسمه بكل شرف وافتخار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى الذي تعب من أجل أن أجد الراحة والهناء في حياتي، أبي الفاضل أطال الله في عمره.

إلى سندي في الحياة إخواني وأخواتي وأصدقائي.

***أهدي ثمرة هذا العمل.**

***محمد الطيب.**

إلى من تعبت وربت بمفردها، وبسطت لي طريق النجاح، إلى الحنونة العطوفة التي لم تبخل علي بشيء، إلى من فتحت لي كل سبل الخير بدعواتها، إلى من كانت لي الأب والأم، إلى من قصرت كلماتي في إيفائها حقها، إلى أمي الغالية بارك الله في عمرها.

إلى روح أبي الطاهرة التي جانبتني بدلا من جسده، رحمة الله عليه.

إلى أخي الوحيد "المهدي" الحبيب الذي كان ولازال السند الذي يشد العضد.

إلى العائلة الكريمة وأصدقائي الأعزاء دون استثناء.

أهدي نتاج هذا العمل.

***عبد الله بلوافي.**

مـقدمـة

مقدمة:

تعد الرواية من بين الأجناس التي لقت إقبالا واسعا في الساحة الثقافية، بفضل تنوع آلياتها وموضوعاتها السردية التي تواكب الواقع المعاش، فهي الوعاء الذي يحمل هموم ومشاكل المجتمع ويحاول معالجتها في شتى المجالات، ومن خلالها يرى المجتمع صورته منعكسة داخل النص الروائي، كما أنها تعتبر المتنفس الذي يتخذ منه الأدباء فضاءً لنقل أفكارهم وتجاربهم، ويعبرون من خلاله عما يختلجهم من أحاسيس ووجهات نظر، لذا فقد عمل النقاد على ترقيتها وتطويرها من خلال دراسة وتحليل عناصرها، حيث أن ما يحكم جمال الرواية هو بنيتها وخاصة السردية، وقد ساهم الكتاب الجزائريون كغيرهم من العرب في مجال تطوير الرواية ونجد من بينهم الحبيب السايح، والذي كتب ودوّن العديد من الروايات، آخرها رواية أنا وحاييم، التي كانت لها قيمة فنية وتاريخية كبيرة، حيث أرَّخت لفترة زمنية مهمة من تاريخ الجزائر بطريقة إبداعية، وفازت مؤخراً بجائزة "كاتارا" للرواية العربية 2019، ومن هذا المنطلق ارتأينا أن يكون عنوان بحثنا هذا: البنية السردية في رواية أنا وحاييم للحبيب السايح والذي حاولنا من خلاله تحليل عناصرها السردية، والغوص في أحداث الرواية التي كانت تعبر عن فترة تاريخية للجزائر إبان حقبة الاستعمار الفرنسي.

وقد كان اختبارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب ذاتية وموضوعية، أما الذاتية: فروعة اللغة التي يمتاز بها السايح وما لمسناه من متعة وحسن حبكة شدت انتباهنا بدءً من العنوان، كما أنها تعبر عن حقبة تاريخية من تاريخ الجزائر، والموضوعية: قلة الدراسات حول الرواية، ورغبتنا في الكشف عن البنيات السردية التي اعتمدها الحبيب السايح في رواية أنا وحاييم.

وإن كنا قد عثرنا ـ ونحن بصدد إنهاء مذكرتنا ـ على مذكرة من جامعة "عين تموشنت" تحمل العنوان نفسه "البنية السردية في رواية أنا وحاييم"، ولكن الذي اكتشفناه أن جمالية اللغة وجودة إحكام البناء عند الحبيب السايح، تتيح للباحث العديد من الفرص لتقديم الجديد والتميز عن غيرك، فاختلفت عنها دراستنا وابتعدت إلى حد كبير.

وتأسيسا على ما سبق فإن البحث يحاول الإجابة عن التساؤلات التالية:

ـ ما مفهوم البنية والسرد؟

ـ ماهي العناصر التي يتشكل منها النص الروائي؟ وإلى أي مدى ووفق الحبيب السايح في توظيفها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا خطة قوامها: مدخل، فصل نظري، وآخرين تطبيقيين، ثم خاتمة، وقد تناولنا في المدخل قراءة وتحليل للرواية، وذلك بتحليل عتبات الرواية وإعطاء ملخص عنها، أما الفصل الأول والذي كان نظريا فقد عنون بالبنية السردية في الرواية مفهومها وعناصرها، وقد وقفنا فيه حول مجموعة من

المفاهيم وذكرنا فيه عناصر البنية السردية وما يحمله كل عنصر من أنواع، وفي الفصل الثاني الموسوم بعنوان: بنية الأحداث والشخصيات في رواية أنا وحاييم فقد تم فيه ذكر الأحداث الرئيسية والثانوية التي تشكلت منها الرواية، والشخصيات التي شاركت في نسج هاته الأحداث ،كلٌ حسب دوره ومكانته، وفي الفصل الثالث المعنون ب: بنية الزمان والمكان في رواية أنا وحاييم فقد خصصناه لدراسة الزمن والمفارقات الزمنية، وتقنيات زمن السرد في الرواية، كما عرجنا فيه عن الأماكن المفتوحة والمغلقة التي ذكرها الحبيب السايح في هذه الرواية، وقد ذيل البحث بخاتمة احتوت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ولتحقيق هذه الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي بآلية التحليل وذلك لأنه الأنسب لوصف عناصر البنية السردية وتحليل الرواية.

وكانت مرجعيتنا العلمية من مجموعة من المصادر والمراجع من بينها:

- رواية انا وحاييم، الحبيب السايح.
- حميد لحميداني، بنية النص السردي.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي.
- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية.

ولا نخفي بعض الصعوبات التي واجهتنا ونحن ننجز البحث، ونذكر من بينها:

ما خلفته الوضعية الوبائية لجائحة كورونا على المستوى الوطني والعالمي، وما سببته لنا من قلة التواصل الجيد بيننا كأعضاء أو مع الأستاذة المشرفة، بالإضافة إلى طول الرواية وتشعب المادة العلمية وغزارتها مما يصعب اختيار الأنسب بينها.

مدخل: رواية أنا وحاييم ـ قراءة وتحليل ـ

- تحليل العتبات في الرواية.
- ملخص الرواية.
- نبذة عن المؤلِّف.

مدخل: "رواية أنا وحاييم" ــ قراءة وتحليل ـ

مما لا شك فيه أن لكل عمل مدخلا أو تمهيداً يستهل به العمل ويكون بداية لما هو آت فيه، وارتأينا أن نجعل من قراءة وتحليل لرواية أنا وحاييم مستهلا لعملنا هذا، حيث عرجنا من خلاله على العتبات وتحليلها، ثم أردفناه بملخص عام للرواية، ونبذة عن المؤلِّف وأهم أعماله.

أ–تحليل العتبات في الرواية:

1–تعريف العتبات:

العتبة لغة: "عَتَبَ العَيْنُ وَالتَّاءُ والبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَرْجِعُ كُلُّهُ إلى الأَمْرِ فيه بَعضُ الصُّعُوبةِ مِن كَلامٍ أو غَيرِهِ من ذلك العتبةُ، وهي أَسْكُفَّةُ البابِ، وإنما سُمّيت بِذَلك لارْتِفَاعِها عَنِ المِكَانِ المطْمَئِنِّ السَّهلِ وعتباتُ الدُّرْجَةِ: مَراقِيهَا، كُلُّ مِرْقاةٍ من الدُّرْجَةِ عَتَبَةٌ"[1].

وجاء في القاموس المحيط لفظة عَتَبَة: "العتبة (محركة) أَسْكُفَّةُ البَابِ، أو العُليَا مِنهَا والشِّدَّةُ، والأَمرُ الكَرِيه كَالعتب محركة، والعتب لما بين السّبَابَةِ وَالوُسْطَى أو ما بين السبابة والبِنصَر.

والعَتَبُ: المؤجدة، كَالعتْبَان والمعتب والمعتبة والملاَمَة، كَالعتاب والمَعاتبة وَالضلع وَالمشْيُ عَلَى ثَلاَث قَوائِم من العقر، وأَنْ تَثِبَ بِرِجْل وَتَرْفَعَ الأُخْرَى"[2] أي أن المقصود بالعتبة لغة هو كل ما ينتقل به من منخفض إلى مرتفع أو العكس، كما هي عَتَبَةُ مَدْخَلِ المِنْزِلِ.

1–1عتبة العنوان:

يعتبر العنوان هو أول عتبة تستقر في عين القارئ عندما يحاول قراءة أي كتاب، "هو أول عتبة تضيء غوامض النص أو تفك رموزه"[3]، ويحمل العنوان تأثيرا كبيرا على نفسية المتلقي، لذا فقد حظي على أهمية كبيرة في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة.

ولقد أصبح العنوان في النص الحديث ضرورة ملحة ومطلب أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص، لذلك ترى الشعراء يتفننون في وسم مدوناتهم بعناوين ويتفننون في اختيارها، وذلك لعلمهم بالأهمية التي يحظى بها، وقد رأو فيه عتبة ليس من السهل تجاهلها إذ يستطيع القارئ من خلالها ولوج عالم النص.

---

[1]ــ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (عتب)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا 1979، ج4، ص36.

[2]ــ مجي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2005، ط8، ص52.

[3]ــ شادية شقروش، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، مصر، 2010، ط1، ص32.

كما تتجلى أهمية العنوان فيما "يثيره من تساؤلات لا تلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل"[1]، فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر من خلال الاستفهامات التي تطرأ على ذهنه والتي تدفعه للبحث عن إجابات لها داخل النص.

وكون العنوان أهم العناصر التي تتيح للقارئ مجالاً لاكتشاف دلالات النص فهو يأتي في رواية "أنا وحاييم" على شكل جملة إسمية تتكون من ضمير المتكلم "أنا" الدال على أرسلان وهي الذات الجزائرية المسلمة واسم "حاييم" الذي يخالف هذا الأنا في المنظومة الثقافية والعقائدية باعتبار أن الأسماء عادة ما تشكل هوية المجتمع وذاكرته وتقاليده.

جاء العنوان في رواية "أنا وحاييم" يحمل الكثير من الغموض والتناقض، كما يبرز منه التقارب الذي كان حاصلا بين المسلمين واليهود في فترة الاستعمار الفرنسي، وكذلك يعبر عن التسامح الديني الذي كان يسود الساحة الجزائرية آنذاك، وجاء معبراً أيضا عن الوطنية السائدة بين المجتمع الجزائري بكل أطيافه، وهو بذلك عنوان تعددت دلالاته وتنوعت علاقاته.

1-2الغلاف:

يعتبر الغلاف من أبرز العتبات التي تطل على وجه القارئ، وبالتالي يحاول تحليلها والكشف عن الغموض التي تحتويه، وهو أول ما نقف عنده لأنه العتبة الأولى من عتبات النص الهامة، ولابد للقارئ أن يقف عنده وقفة تمحيص، فيكشف عن علاقته بالنص وبغيره مما يحيط بالنص، ولقد توصلوا إلى تصنيف أغلفة الكتب تصنيفا (خارجيا وداخليا)، فالتصنيف الخارجي يشمل:

العنوان، اسم المؤلف، شركة الإنتاج، دار النشر، الطبعة، اللون، الصور والزخارف، الرسومات...

أما التصنيف الداخلي فيتمثل في:

"الفضاء الطباعي، ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة على مساحة الورق، ونوعه، ونوع الخط، وتقنية العمل، والنقط والفراغات، وغير ذلك"[2].

➢ الغلاف الأمامي:

سنحاول دراسة الواجهة الأمامية لرواية "أنا وحاييم" والتي جاءت مليئة بالإيحاءات الدالة، فهي تعبر عن سلسلة أحداث لخصها الكاتب في واجهته الخارجية للكتاب.

---

[1]– رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث، دراسته في المنجز النصي، افريقيا الشرق المغرب / لبنان، ط1، 1998، ص107.

[2]– أمال علي أبوشويرب، (سيمياء العنوان والغلاف في رواية ابراهيم الكوني (الدمية)). المجلة الجامعة، العدد21، المجلد 5، جامعة صبراته، أغسطس 2019، ص167

جاءت واجهة الغلاف الأمامي تحمل صورة لطفلين باللونين الأسود و الأبيض واللذان قد يعبران عن المعاناة التي تكبدها المجتمع الجزائري بمختلف أطيافه إبان فترة الاستعمار الفرنسي الغاشم، لكن يتضح من الصورة أيضا أن الطفلين تبدو على محياهما ابتسامة تكسر الظلم، وتحارب العنصرية، وتكرس مبدأ التسامح الديني، وفوق الصورة يظهر اسم الكاتب الذي كتب بالخط الأبيض المزخرف والذي قد يعبر على أن الكاتب يحب السلام و العيش تحت كنف التسامح الديني تحت راية الإنسانية، أما تحت الصورة يظهر عنوان الرواية بخط أحمر مزخرف و كبير على الخط الذي كتب به اسم الكاتب وهي ربما دلالة على سنوات الدم التي عاشها المجتمع الجزائري في تلك الفترة بمختلف أطيافه، أما الغلاف فقد قسم على نصفين: النصف العلوي يظهر باللون الأحمر و هو دلالة على السنوات الدامية التي مرت بها الجزائر أما النصف السفلي الذي يحتل مساحة أكبر من مساحة الجزء العلوي جاء باللون الأصفر، وهذا ربما فيه تلميح إلى أن الكاتب يرجع سبب ما مرت به البلد من ويلات، إنما هو صنيعة المكر والخداع والغش الذي كان سائدا في تلك الفترة، ونجد أيضا دار النشر مكتوبة بلون أصفر في خانة سوداء، التي ضمت رمز دار النشر والتي جاءت كذلك باللون الأصفر الفاتح.

- **الغلاف الخلفي:**

وهو "العتبة الخلفية للكتاب والتي تقوم بوظيفة عملية وهي إغلاق الفضاء الورقي"[1]، والتي لا يمكن استبعادها في دراسة الغلاف لكونها ذات أهمية كبيرة.

والغلاف الخلفي لرواية "أنا وحاييم"، جاء أيضا كالأمامي باللونين الأصفر والأحمر اللذان يدلان على الدماء والمكر والخديعة، وفي نفس الوقت قد يدل اللون الأصفر على الشمس والنور الذي قد يسطع في الجزائر بعد الاستقلال، ولقد جاء مقسماً إلى جزئين، جزء باللون الأحمر وقد حوى اسم الكاتب وعنوان الرواية بالخط الأبيض المزخرف، وفي أسفل هذا الجزء نجد رمز دار النشر باللون الأسود، وفي الجزء الأصفر الكبير استغل مساحة كبيرة منه لإنشاء ملخص عام لمضمون الرواية وما تناولته من أحداث بصفة ملخصة، و كذلك وضع صورة له في هذه المساحة.

وجب عليها التنويه أن للألوان وتصميم الغلاف دور كبير في تحفيز القراء على اقتناء الكتب، ولهذا فقد ركز الحبيب السائح على أن يكون غلاف كتابه مصمما بطريقة جمالية جذّابة.

[1]– محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، مج1، ط1، 2008، ص138.

ب . ملخص الرواية: قبل الغوص والبحث في أي عمل روائي، يجب تلخيص أهم محطاته، والرواية التي نحن بصدد دراستها جاءت مقسمة إلى عدة فقرات، كل فقرة تخص مرحلة من حياة الراوي، لذا كان لزاما علينا أن نلخصها على الشكل التالي:

1944.من سعيدة الى معسكر:

تدور أحداث رواية "أنا وحاييم" لصاحبها "الحبيب السائح" حول حياة صديقين طيلة مسارهما الدراسي وما بعده، "أرسلان حنيفي" و"حاييم بنميمون". يبدأ الكاتب بسرد أحداث هذه الرواية بعد أن دخلت شخصية "أرسلان" بيت صديقه "حاييم" قبل مغادرته لمدينة وهران، نزولا عند رغبة زوجته "زليخة النضري" لحاجَة، بدأ بوصف المنزل كاملا بداية بباب المدخل مروراً برواقه، وغرفه الثلاث والمطبخ رابعهم، المتقابلة اثنان اثنان، ويصف حتى الأشياء التي فيه.

تتقد ذاكرته بعد وقوفه أمام صورة صديقه "حاييم" المعلقة في غرفة الجلوس مع صور والديه، فيتذكر عفرتتهما في مدينة سعيدة ومغامرتهما معا، يتذكر أيضا انتقامهما من السيد "ألفونسو باتيست" بتخريب حديقته والسبب أنه شكاهما إلى مدير مدرسة "جول فيري" بحجة أنهما يضايقان ابنه "ألكسندر باتيست"، ثم مسابقين الريح في ملابسهما الطفولية هرباً من "باتيست" الذي كان يلتهم الطريق بسيارته خلفهما على حد تعبيرهما بعد أن اكتشف أمرهما، نجح الطفلان في الهرب من "ألفونسو" كنجاحهما في مدرستهما و انتقالهما إلى معسكر لإكمال الدراسة في الثانوية هناك، وما شد انتباهه في المدرسة نظامها وهندستها وكذلك أشجارها ورائحة طلائها الجديد وانضباط العاملين فيها بل وحتى صرامة بعضهم وبالأخص ميسيو "ويل" الذي كانت صرامته متجهة خصوصا إلى تلامذة الطور الإكمالي لاسيما الجدد منهم، وإذا أردنا التخصيص أكثر نقول الأنديجان، وهو "وصف وضيع أطلقه المحتلون الفرنسيون على سكان الجزائر الأصليين"[1]، مرت فترة الإكمالية على الصديقين بين مراجعة الدروس ومطالعة الكتب والروايات والسخرية من التلاميذ وميسيو "ويل"، ولم يسلم حتى الأساتذة من لسانيهما، حياتهما كلها على هذا النحو ولم تخلو من بعض المصاعب والمضايقات من هنا وهناك من زملائهم الفرنسيين والأقدام السوداء، وهم "الذين دخلوا أرض الجزائر خلال الاحتلال، خاصة ذوي الأصول المالطية والإيطالية والإسبانية، لأنهم كانوا يلبسون جزمات سوداء"[2]، ولا ننسى مراقبة ميسيو "ويل" الشديد لهما وخاصة "أرسلان حنيفي"، انتهت مرحلة الإكمالية وانتقلا الى الطور الثانوي فخفّت عنهما مراقبة ميسيو "ويل" وارتاحا منها نهائيا بعد أن اجتازا امتحان البكالوريا بتفوق، وهما أمام سبورة عرض النتائج لاحظا ميسيو "ويل" من بعيد يراقبهما في غبطة وهما في نشوة النجاح فقاما بما يزيد حنقه "... تغامزنا

[1]– أنا وحاييم، الحبيب السائح، دار ميم للنشر، ودار مسيكلياني، الجزائر، تونس ط1، 2018، ص 16.

[2]– المصدر نفسه، ص 24.

واستقمنا. ثم جذبنا في حركة تسوية هندامينا الصيفيين من قميص نصف كم ذي جي وسروال تركال مكوي. ورمينا خطواتنا كجنديين حقيقيين هذه المرة، نوقع مارشة فخرية، مارين أمام الإمبراطور رافعين ذراعي شرف أرسلناهما في الهواء"[1]، بطرافة هذه الصورة انتقمنا من سنين مراقبته وصرامته.

لا يخفى علينا ذكر ما كانا يعيشانه أيام العطل من حضور أعراس بالنسبة لحاييم، ومن قضائها في المزرعة أو بيت الجدة بالنسبة لأرسلان، ولقد نظم على شرفه احتفال إبّان نجاحه في البكالوريا فقد كان الوحيد بين الأهالي الذي تمكن من الالتحاق بالجامعة حينها، وهذا ما دعا والده للافتخار به في المجالس.

ما أبعد جامعة الجزائر!

دخلا جامعة الجزائر، وإن كانت نتائجهما في البكالوريا أتاحت لهما تخصصات جيدة إلا أن "أرسلان" توجه نحو الفلسفة في حين اختار "حاييم" الصيدلة، لم تكن المرحلة الجامعية مختلفة كثيرا عن سابقيها من المراحل لما كانت فيها من عنصرية، بل وكانت أشد من سابقيها، فقد استصعب عليهما حتى العثور على مكان لائق يقيمان فيه، وكثيرة هي المناوشات بين هذا الطرف وذاك، بين "أرسلان" وزملائه الأوروبيين وغيرهم، لكن حتى من هؤلاء الأوربيين من كان ضد بني جنسهم كسيلين شوقالييه" مثلا وهي زميلة "أرسلان" التي ظلت تدافع عنه وتقف إلى جانبه.

التقى "أرسلان" و"حاييم" في هذه المرحلة الجامعية بالطالب "الصادق" وهو قبائلي، و"حسيبة" من حي القصبة بالجزائر الذين كانا ناشطين فيما يخص قضايا الأهالي واستبداد المستعمر والطبقية العنصرية المتفشية حينها، فاتحين حوارات حول أن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة، وضرورة العمل المسلح بعد نفاذ وفشل كل خيار سلمي.

1954. ليلة عيد الأموات الحمراء

دبّ الفزع في أوساط الأوربيين والأقدام السوداء إثر العمليات التي تصاعدت وتيرتها من تفجيرات واغتيالات وسط مكان كذا وكذا، وارتفعت الأصوات المنددة والتي تدعو إلى تدابير أمنية صارمة لردع هذه الأعمال الإرهابية كما سموها، وتناقلت الصحف الخبر على نطاق واسع فما خلت جريدة من عمود يتكلم عن أعمال الشغب أو الإرهاب، متفننين في وضع العناوين التي تعطي صورة وحشية وبربرية والتي تلبس هذه الأعمال بثوب الإرهاب، هذا معنى العناوين التي قرأها أرسلان لحاييم من جريدة ما وبدوره حاييم أسمع أرسلان كلاما آخر من جريدة أخرى وهما في أحد المقاهي، اختلفت العبارات والمعنى واحد، كل هذا وأعين من حولهما من الأوروبيين وغيرهم تترامى عليها، وأصوات من هنا وهناك تحط من قدرهما ساخرة بطرق غير مباشرة.

[1]– الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص (48_49).

ليلة ثلج في الجبل

بعد تخرج أرسلان من الجامعة تاركا صديقه حاييم يتم ما تبقى له من سنوات في تخصص الصيدلة انخرط أرسلان بعد تخرجه مع جبهة التحرير الوطني وهناك التقى بزليخة النضري التي كانت تدرس معه في سعيدة في مدرسة "جول فري"، وبعد أن أنهى حاييم دراسته وفتح صيدلته التي أعطى مفتاحا لها لأرسلان كي يدخل من بابها الخلفي ويأخذ ما يستحق من أدوية يساعد بها الجنود في الجبل، وتتسارع وتيرة الأحداث، ويتلقى والد أرسلان الضغوط من المستعمر لأن ولده انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني، و أصبح يتعرض إلى إهانات جراء ذلك، لكنه سافر إلى الحج حيث توفي ودفن هناك، وكذلك احرقت صيدلية حاييم لعلمهم بصلتها مع الجبهة، وكان لهذا أثر كبير في نفس حاييم.

1962. نعم! لا!

وفي خِضم تسارع وتيرة الأحداث تم الإعلان عن وقف إطلاق النار والدخول في مفاوضات، ثم الاستفتاء حول تقرير مصير الجزائر بإجراء انتخابات، كان مصير البلد عبارة عن قصاصات بها (نعم) أو (لا) إجابة على سؤال في معناه: هل تبقى فرنسا أو ترحل؟

شهدت تلك الانتخابات توافد الحشد الكبير من الأهالي مقارنة بالأوروبيين والأقدام السوداء، نزل الجنود من الجبل ومعهم أرسلان وزليخة والذين توجهوا مع حاييم لبيته حيث استمعا من المذياع إلى نتائج الاستفتاء معلنا النصر الساحق للأهالي، فانطلقت الزغاريت والتهليلات من هنا وهناك، وركب الثلاثة في سيارة حاييم متجولين في البلد، كذلك لم تخلو المناسبة من الفوضى، حيث انطلقت شرذمة من الناس تحرض غيرها على الأخذ بالثأر ممن تبقى من الأوربيين أو غيرهم من اليهود، وصل الخبر الى أرسلان من زليخة التي وصلها بدورها من آخر يدعى "بشير" بأن أشخاصا يحاصرون بيت حاييم فانطلقا اليه وخلصاه منهم وهو في حالة فزع.

كفرحة عابرة

في خضم تضميد جراح الاستعمار وملء الفراغ الذي خلفه بعد رحيله في المناصب الحكومية خاصة البلدية تقلد أرسلان منصب مفوض فيها، وطلب أن يتم تعيين حاييم من ضمن مستشاريه، في تلك الأيام كان الكلام في المقاهي والشوارع وأي مكان آخر يدور غالبا حول الاستعمار والحرب التحريرية وضحاياها.

و في غير ذي مرة تحاور حاييم وأرسلان حول هذه الحروب وأمور أخرى من بينها "غولد" (بتدوير الغين جيما مصرية) تلك الشابة اليهودية من أم يهودية وأب مسيحي أوربي، والتي كانت تدرس معهم في مدرسة "جول فيري" وكانت كثيرة الشجار مع زليخة النضري، كما قيل عنها في مقطع آخر سابق من الرواية، وهي الفتاة التي أحبها حاييم، أخبر حاييم أرسلان بأنها ما انفكت تحرضه على الرحيل إلى أرض فلسطين أرض الميعاد كما أطلقوا عليها، لكنه رفض، وتابع رفضه تحت كل الإغراءات بأنها ستتزوجه بعدها، وقد

تنازلت كثيرا في شروطها وغيرها من الإغراءات الأخرى، ثم أنهى حاييم كلامه عنها بقوله أنها لا تناسبه وقد أخطأ الاختيار، وفي المقابل تزوج أرسلان من زليخة النضري وتم زفافهما بعد مدة من الانتظار.

يوم للخيبة. يوم للرحيل

لم تخف وتيرة الارتباك والفوضى، فقد تم تعيين رئيس جديد لهيئة العمالة قادما من خلف الحدود خلفا لسابقه الذي عيَّن أرسلان مفوضا في البلدية، وقد ازدادت حدة التوتر في هذا الوسط إذ أن الرئيس الجديد استغل منصبه فيما يخدم مصالحه، حتى أنه دخل في مناوشات مع أرسلان الذي واجهه بحقيقة الأمر وهذا ما لم يسره، كانت الأيام تمر هكذا مع أرسلان مع الرئيس الجديد حتى جاء ذلك اليوم برسالة وصلته من وزارة الإرشاد القومي والتي تمثل وزارة التربية حاليا، تخبره بأنه عين أستاذا فانطلق مع زوجته زليخة النضري إلى وهران بعد أن أخلى مسؤوليته من البلدية هو وحاييم.

1965. بوجع الانكسار والفقد

مرت أيام أرسلان وزوجته زليخة في مدينة وهران وهو يشتغل مدرسا بين عمل وحنين للمزرعة والبيت وسعيدة بصفة عامة، وإلى حاييم بالطبع، الذي كانت لديه الكثير من المغامرات معه، فقد عاشره لمدة ليست بالقصيرة، كان أرسلان دوماً يدعو حاييم عبر رسائل إليه، لكن ظروف حاييم تدعوه للاعتذار لأنه أصبح وحيدا في الصيدلية بعد أن غادر مساعده، ومع ذلك في أحد المرات أرسل لأرسلان بأنه قادم لزيارتهما، فهو قادم لوهران على كل حال ليجري فحوصات طبية، وصل صديقه متعبا شاحب الوجه بسبب السفر وطول المسافة، دارت حوارات بين الصديقين بين سخرية كما في طفولتهما واستفسار عن متى ينوي حاييم الزواج.

ذهب حاييم ليجري فحوصاته وما هي إلا أيام بعد انقطاع خبره أرسل إلى صديقه يخبره فيها عن نتيجة التحاليل، ولما قرأ "سرطان حاد في الدم" عزم أرسلان وزوجته زليخة على الذهاب في الغد لزيارة صديقه حاييم.

بعد عودة أرسلان من العمل أعطته زليخة رسالة تلقاها من أحد أطبائها قرأ فيها "صديقي العزيز الوفي أرسلان أعذرني إن لم أخبرك قبل هذا الوقت بأني سأرحل قريبا عن هذه الدنيا وفي قلبي حب عظيم لك ولأهلنا وبلدنا. وسامحني على أني لم أكن أملك في جسدي ما أؤجل به صعقة هذا المرض القاضية حتى أراك مرة أخيرة. عجيب هذا القدر إن لم يقتلنا بالحرب قتلنا بغيرها! أحببت وأنا أثق في وفائك، أنت وزليخة، أن تسهرا على أن ينقل جثماني إلى مدينتنا وعلى أن يحفر لي في مقبرتها قرب والدي. كم أحببت سعيدة هذه! ويالها من مدينة عجيبة على قدر كبير من الأسرار الصغيرة! وداعا. حاييم"[1]، ولك أن تتصور الجو الحزين الذي أضافته هذه الرسالة للانكسار الذي عان منه أرسلان بفقدانه صديقه. وقد نفذ وصيته في الرسالة،

[1]– الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص 325.

ووصية أخرى في ظرف آخر وانتهت الرواية بعد خروج أرسلان من مقبرة اليهود التي دفن فيها حاييم بعد زيارته لقبره.

ج. نبذة عن المُؤلِّف: الحبيب السايح كاتب وروائي جزائري، ولد يوم 24 فيفري 1950م بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر، نشأ في مدينة سعيدة، وتخرج من جامعة وهران تخصص ليسانس أدب، درس ما بعد التخرج ثم اشتغل بالتدريس، كما ساهم بقسط كبير في الصحافة الجزائرية العربية عن طريق مقالاته وحواراته التلفزيونية وغيرها، غادر الجزائر سنة 1994م نحو تونس وبقي هناك نصف سنة، لينتقل بعدها إلى المغرب، ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر ليتفرغ للإبداعات الأدبية، سواء كانت قصص أو روايات.

للراوي عدة أعمال أدبية منها:

ـ المجموعة القصصية القرار 1979م، وهي أول مؤلفاته. ـ الصعود نحو الأسفل عام 1981م.

ـ الموت بالتقسيط عام 2001م ـ البهية تتزين لجلادها الصادرة في سوريا عام **2000م**.

أما الروايات فصدرت له: ـ زمن النمرود عام 1985م.

ـ ذاك الحنين عام 1997م، ترجمت للفرنسية سنة 2002م.

ـ تماسخت، الرواية التي صدرت عن دار القصبة عام 2002م، وفي نفس العام ترجمت الى الفرنسية.

ـ تلك المحبة الصادرة عام 2003م ـ مذنبون لون دمهم في كفي سنة 2009م.

ـ كولونيل الزبربر سنة 2016م.

ـ من قتل أسعد المروري سنة 2017م التي صدرت عن دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة.

ـ أنا وحاييم سنة 2018م التي صدرت عن دار ميم للنشر، الجزائر، ودار مسيكلياني، تونس.

الفصل الأول: البنية السردية مفهومها وعناصرها

أولا: مفاهيم ومصطلحات:

ـ البنية.

ـ السرد.

ـ السردية.

ـ البنية السردية.

ثانيا: عناصر البنية السردية:

ـ الحدث.

ـ الشخصية.

ـ الزمن.

ـ المكان.

الفصل الأول: البنية السردية مفهومها وعناصرها

في هذا الفصل حاولنا الوقوف عند مفهوم البنية السردية، وذلك من خلال التعريف بالمصطلحات والمفاهيم المنضوية تحته (البنية ـ السرد ـ السردية ـ البنية السردية)، ثم تحدثنا مطولا على عناصر البنية السردية (الاحداث ـ الشخصيات ـ الزمان ـ المكان)، وذلك بتعريف كل عنصر وذكر أهم أنواعه ومحتوياته.

ـ أولا: مفاهيم ومصطلحات:

أ ـ مفهوم البنية: يختلف مفهوم البنية من علم إلى آخر فهي تدل على مجموعة من الدلالات والتحولات المختلفة، وسنورد التعريف اللغوي والاصطلاحي لها.

ـ لغة: "البِنَاءُ نَقِيضُ الهَدْمِ وَالبِنَاءُ المَبْنَى، وَالجَمْعُ أَبْنِيَة، واستعمل أبو حنيفة البناء في السفن فقال يصف لوحا يجعله أصحاب المركب في بناء السفن، وأنه أصل البناء فيما لا ينمى كالحجر والطين ونحوه"[1]

فالبنية من الناحية اللغوية مصدرها فعل ثلاثي (بنى) وتعني البناء والتشييد والعمارة.

ويقول صالح فضل: "تُشْتَقّ كَلِمة بنية في اللغات الأوربية من الأصل اللاتيني (Struere) الذِي يَعْنِي البِنَاء أَو الطّرِيقَة التِي يُقَامُ بِهَا مَبنى"[2] أي أنه يشمل وضع الأجزاء في مبنى ما.

وقد ورد لفظ "البنية" في القرءان الكريم بكثرة على صورة الفعل بنى والأسماء بناء، بنيان، مبنى.

قال تعالى:﴿**ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَيَاهَا**﴾[3]

"والبِنَاءُ مَصْدَرُ بَنَى وهو الأَبْنِيَة أي البُيُوت، وتسمى مكونات البيت بَوَائِن جَمْع بَوَان وهو اسم كل عمود في البيت أي التي يقوم عليها البناء"[4]، فالبناء هنا يعني المكونات والركائز التي يقوم عليها البيت وهو ما ينطبق على الرواية، والتي تقوم على مجموعة من المكونات البنائية.

– اصطلاحا: كان أول ظهور للاصطلاح البنيوي مع "الشكلانيين الروس وذلك أثناء بحثهم الذي تقرر عنده تحميل القوانين البنائية للغة والأدب[1]، أي العناصر البنائية المكونة للعمل الأدبي.

---

[1]ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة (بنى)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ج1، ط1، 1992، ص106.

[2]ـ صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، (دط)، 1998، ص190.

[3]– القرءان الكريم برواية ورش عن نافع، سورة النازعات، الآية 27.

[4]– نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية رسالة دكتوراه، إشراف: محمد صالح بن جمال بدوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008، ص5.

وقد تعددت واختلفت التعريفات حول البنية حيث رأى "جيرالد برانس" (Gerald Prince) صاحب "قاموس السرديات" أن البنية: "هي شبكة من العلاقات الموجودة بين القصة والخطاب، والقصة والسرد، وأيضا الخطاب والسرد"[2]، ويضيف قائلا:" البنية هي شبكة العلاقات الخاصة بين المكونات العديدة وبين مكون على وحدة والكل"[3]، أي أنها ذلك الترابط والتماسك الذي يحصل بين مكونات مختلفة.

ومما سبق يمكننا القول أن الهدف من البنية هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية والعلاقات التي تربط أبنيتها وطريقة تولدها.

ب –مفهوم السرد: اقتحم السرد حياتنا الثقافية اقتحاما واسعا، حيث يعد من المواضيع التي عني النقاد بدراستها، حيث يضم السرد جميع الأجناس الأدبية كما أن له مفاهيم متعددة ومختلفة تنطلق من أصله اللغوي.

– لغة: ورد في المعجم الوسيط: "سَرَدَ الشَّيْءَ: تَابَعَهُ وَوَالاَهُ، يقال سَرَدَ الحَدِيثَ، رَوَاهُ وَعَرَضَهُ، قَصَّ دَقَائِقَهُ وَحَقَّائِقَهُ"[4]، ويقصد بالسرد التتابع والتسلسل.

وجاء في لسان العرب لابن منظور:" تَقْدِمَةُ الشّيءِ إِلَى شَيء تَأْتِي بِهِ مُتَّسِقا بَعْضُهُ فِي أَثَر بَعْض مُتَتَابِعا، سَرَدَ الحَدِيثَ وَنَحْوه يَسْرِدُه سَرْدا إِذَا تَابَعَهُ، وَفُلَانٌ يَسْرِدُ الحَدِيثَ سَرْدا إِذَا كَانَ جَيّدَ السِّيَاقِ له، وفي صِفَةِ كَلاَمِهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُن يَسْرِدُ الحَدِيثَ سَرْدا، أَنْ يُتَابِعَهُ وَيَسْتَعْجِلَ فِيهِ، وَسَرَدَ القُرْءَانَ: تَابَعَ قِرَاءَتَهُ في حَذَرٍ منه وسَرَد فلان الصوم إذا وَالاَه وَتَابَعَه"[5]، أي أن السرد يعني إجادة السياق وتتابعه.

– اصطلاحا: للسرد عدة تعريفات تتركز في كونه الطريقة التي تروى بها القصة، وهو "مصطلح يستخدمه الناقد للإشارة إلى البناء الأساسي في الأثر الأدبي الذي يعتمد عليه الكاتب أو المبدع في وصف وتصوير العالم، سواء داخليا أو خارجيا"[6]، فهو أساس وجوهر كل عمل روائي.

---

[1]– يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللأنسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية الجزائر، (دط)، 2002م، ص118.

[2]– عبد المنعم زكرياء القاضي، البنية السردية في الرواية، دار النشر للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، ط1، 2009م، ص16.

[3]– المرجع نفسه، ص17.

[4]– إبراهيم مصطفى والآخرون، المعجم الوسيط مادة (سرد)، دار الدعوة، مصر، ج1، 1989م، ص426.

[5]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرد)، دار صادر، بيروت ج2، ص211.

[6]– سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، (عربي، فرنسي، إنجليزي)، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001م، ص96.

ويرى "رولان بارت" (Roland Barthes) أن "السرد تحمله اللغة المنطوقة، شفوية كانت أم مكتوبة والصورة ثابتة أو متحركة والإيماء"[1]، ونفهم من ذلك أن السرد هو كل ما يعبر عنه بلغة شفويا أو كتابة، أو من خلال الإشارة.

ويعرفه سعيد يقطين بأنه: "فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان"[2]، أي أن السرد يكون حاضرا في كل خطابات الانسان على اختلاف أجناسها.

ج ـ مفهوم السردية:

تهتم السردية باستخراج القواعد الداخلية للأجناس الأدبية، واكتشاف النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسماتها وتبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوٍ، ومُروى، ومروي له.

ويقول "عبد الله إبراهيم": "إن السردية تبحث في مكونات البنية السردية للخطاب من راوي ومروي له... ولما كانت فنية الخطاب السردي نسيجا قوامه تفاعل تلك المكونات فإن السردية هي العلم الذي يدرس أو يعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة"[3]، فالسردية خاصية تُعنى بالبحث والدراسة في مكونات وعناصر الخطابات السردية.

ومما سبق يمكننا القول أن السرد مصطلح عابر للأنواع الأدبية وغير الأدبية التي تتخذ السرد وسيلة للتدوين وإثبات الذات، وحتى ينشأ العمل السردي فإنه يتطلب راويا أو مخبرا لتبليغ أحداثه عن طريق اللغة، ويكون ذلك في إطار زمني ومكاني محددين، كما يتطلب شخصيات تقوم بتمثيل الأحداث، ومن كل هذا يمكننا القول أن العمل السردي يتكون من عناصر أساسية هي: الراوي (المؤلف)، اللغة، الأحداث، الزمان، المكان، الشخصيات.

د –مفهوم البنية السردية:

تعتبر البنية السردية قرينة البنية الشعرية والدرامية، وهي "العلم الذي يبحث عن صياغة نظريات العلاقات بين النص السردي والقصة والحكاية"[4]، وقد تعرضت في مفهومها في العصر الحديث إلى مفاهيم مختلفة

---

[1]– أحمد رحيم كريم الخفاجي، مصطلح السرد في النقد الأدبي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء عمان، ط1، 2012م، ص38.

[2]– سعيد يقطين، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997م، ص19.

[3]– ذويني خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط2، 2006م، ص20

[4]ـ عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2005م، ص17.

ومتنوعة، "فالبنية السردية عند "فورستر" (Forster) مرادفة للحبكة، وعند "رولان بارت" (R.Barthes) تعني التعاقب أو التتابع والسببية أو الزمان والمنطق في النص السردي وعند " أدوين موير"Edwin Muir تعني:" الخروج عن التسجيلية والسببية إلى تغليب أحد العناصر الزمانية أو المكانية على الآخر، وعند الشكلانيين تعني التغريب، وعند سائر البنيويين تتخذ أشكالا متنوعة، ومن ثم لا تكون هناك بنية واحدة بل هناك بنية سردية متعددة الأنواع تختلف باختلاف المادة والمعالجة الفنية في كل منها"[1].

من كل هذا يمكننا القول أنه من الصعب تحديد مفهوم البنية السردية بسبب تنوع الدراسات والآراء حوله، والتي لم تقف على مفهوم واحد.

2) عناصر البنية السردية:

يقوم السرد على عناصر المبنى الحكائي، التي يتشكل منها الفضاء الروائي، وهي عناصر ثابتة وأساسية لا يمكن إعمار البناء الروائي من دونها، ولكن يمكن التلاعب بمواقعها وفق مخيلة الكاتب، ورؤيته وطريقته الفنية التي سيعتمدها في السرد فلا يمكن الإلمام بخبايا النص ومكوناته إلا من خلال التعرف على هذه العناصر المكونة للمتن الحكائي، فهي مترابطة ومتكاملة فيما بينها وهي: الأحداث والشخصيات، الزمان والمكان.

أ ـ الحدث: يُعَدُّ الحدث المكون الأساسي للإنتاج الإبداعي الروائي فهو من العناصر التي تعمل على تشكيل وبناء العمل، فمن خلاله يجسد الكاتب مواقفه وأطروحاته عبر الشخصيات وعلاقتها مع بقية العناصر.

لغة: ورد مفهوم الحدث في لسان العرب على أنه مأخوذ من مصدر: "حَدَثَ يَحْدثُ حُدُوثا وَحَدَاثَةً، وَأَحْدَثَه هُو، فَهُو مُحْدث، وكذلك استحدثه والحدوث كَوْنُ الشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ، وَأَحْدَثَهُ اللهُ فَحَدَث"[2]، وهو ما يحقق فعل الكينونة والايجاد من العدم.

وجاء في مقاييس اللغة "لابن فارس أيضا بنفس المعنى فقال: "أن (حدث) هو كَوْن الشَّيءِ لم يَكُن، يقال حَدَثَ أَمْرٌ بَعْد أَنْ لَمْ يَكُن..."[3]، فتكون نقطة انطلاق من مرحلة إلى أخرى من السكون إلى الحركة...

اصطلاحا: هو عبارة عن الحادثة الفعلية أو تيمة الموضوع الأساس الذي تدور حوله القصة ومحور العملية الفنية، يتشكل ويتطور بامتداد الوقت إثر سلسلة من الأفعال تترجم تَحرك الشخصيات إذ "يعتنى بتصوير الشخصية في أثناء عملها، ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى ببيان كيفية وقوعه والمكان والزمان، والسبب الذي

[1] – المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ـ ابن منظور، لسان العرب، (مادة حدث)، ج3، ص73.

[3] ـ ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ج2، ط2، 2002، ص36.

قام من أجله، كما يتطلب من الكاتب اهتماما كبيرا بالفاعل والفعل لأن الحدث هو خلاصة هاذين العنصرين"[1]، فينتج بفضل العناصر الداخلية حيث يتجسد في إطار علاقته مع الزمن والمكان والشخصية.

والحدث عبارة عن "سلسلة من الوقائع المتصلة، والتي تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية، وهو نظام نسقي من الأفعال"[2]، أي أن الحدث يشمل الوقائع المتتالية المترابطة فيما بينها.

2ـ طرق بناء الأحداث:

هناك عدة طرق لعرض الأحداث قد يلجأ الكاتب لإحداها، وذلك تبعا لثقافته ورؤيته الفنية، فقد يبدأ الروائي قصته من أول أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخوصه تطورا أماميا متبعا المنهج الزمني (الطريقة التقليدية)، وقد تبدأ القصة بنهايتها، فيصور الحادثة ثم يعود بنا إلى الخلف كي نكتشف الأسباب والأشخاص (الفلاش باك)، وقد يتبع أسلوب اللاوعي والتداعي، فيبدأ من نقطة معينة ويتأخر حسب قانون التداعي (الطريقة الحديثة)، كل ذلك متروك لعبقرية الكاتب "[3]، فتختلف طريقة عرض الأحداث من كاتب لآخر كل حسب أسلوبه ومنهجيته.

3ـ أنواع الأحداث: يمكن تقسيم الأحداث إلى رئيسية وثانوية، فالأحداث الرئيسية هي التي تشكل لحظات سردية ترفع الحكاية إلى نقاط حاسمة وأساسية في الخط الذي تتبعه الأحداث، بينما الأحداث الثانوية هي أحداث لا تساهم في نمو الرواية، وإنما تكون مكملة ومساعدة للأحداث الرئيسية.

ب –الشخصية: تحتل الشخصية الروائية مكانة هامة في الأبحاث والدراسات فهي تشكل دعامة العمل الروائي وتعتبر ركيزة مهمة تضمن حركة النظام العلائقي داخله، وهي تتشكل بتفاعلها ملامح الرواية وتتكون به الأحداث، وسنحاول تلخيص مفهوم الشخصية في مجالات وحقول معرفية ونبدأ بالإشارة إلى مفهومها لغة واصطلاحا.

لغة: ورد في لسان العرب تحت مادة (شخص): "الشَّخصُ جَمَاعَة شَخْص الإنسَانِ وَغَيرِهِ، والجمع أشْخَاص وشُخُوص وشِخَاص، والشَّخْصُ سَوَاد الإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ تَرَاهُ مِنْ بَعِيد، تقول ثلاثة أشخاص، وَكُلّ شَيْءٍ رَأَيْتُ جُثْمَانَهُ فَقَدْ رَأَيت شَخْصه، والشَّخْصُ كُلُّ جِسْمٍ لَهُ ارتفاع وظُهور، والمرادُ به إثباتُ الذَّاتِ فاسْتُعِيرَ لها لَفْظُ الشَّخْصِ"[4]، ويقصد به أن الشخص هو كل جسم له ذات.

---

[1]ـ شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر (دط)، 2009، ص21.

[2]ـ جبور عبد النور، المعجم الادبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص19.

[3]ـ صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، الأردن، ط1، 1996، ص135.

[4]– ابن منظور، لسان العرب، (مادة شخص)، ج7، ص36.

وجاء في المعجم الوسيط: "شَخَّصَ الشّيء عَيّنَهُ وَمَيّزَهُ مِمّا سِوَاهُ. والشّخصِيَة: الصّفَاتُ التي يتميز بها الشّخْصُ من غيره، ويقال فُلَانٌ لا شَخْصيةَ له، أي ليس له ما يميزه من صِفاتٍ خَاصّةٍ"[1]، وهنا أشار إلى أن كلمة شخصية تشير إلى الصفات التي يتفرد بها كل شخص عن غيره من الناس.

ب –اصطلاحا: تعرف الشخصية من الناحية الاصطلاحية على أنها المحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الاحداث داخل العمل الروائي، وهي العنصر المحوري في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور رواية دون شخصيات، وقد عرفها عثمان بدري على أنها " العصب الحي المؤثر للبناء الفني للرواية كله"[2]، ويقصد هذا أنها كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، إذ تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أقوالها وأفكارها، فالشخصية هي أساس الحركة والمؤثر الأساسي في بناء سير الأحداث في العمل السردي.

ويرى عبد المالك مرتاض أن الشخصيات "هي التي تصطنع اللغة وهي التي تثني أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال أهوائها وعواطفها، وهي التي تقع عليها المصائب وهي التي تتحمل العقد والشرور، التي تتفاعل مع الزمن، وهي التي تتكيف مع التعامل مع هذا الزمن في أهم أظرفه الثلاثة ماضي، حاضر، مستقبل"[3]، بمعنى أي أن فالشخصية هي محل الحل والربط والمتحكم في العمل الروائي ومكوناته السردية.

ومنه نستخلص أن للشخصية دور أساسي وفعال في بناء وتسيير الأحداث وربط عناصر الرواية ببعضها البعض، فهي المكون الذي ينتظم انطلاقا منه مختلف عناصر العمل الروائي.

2 –أنواع الشخصيات:

تتسم الرواية بتنوع الشخصيات داخل إطارها الحكائي، فلا يكتمل أي عمل فني إلا بتوفر الشخصيات، سواء أكانت حقيقية أم خيالية، وتتعدد أصناف الشخصيات حسب دور وأهمية كل شخصية في الرواية ونوردها كالآتي:

---

[1]– إبراهيم مصطفى والآخرون، المعجم الوسيط، مادة (شخص)، ج1، ص475.

[2]– عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، دار الحداثية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص07.

[3]– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات ومفاهيم)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998، ص91.

-الشخصية الرئيسية (المركزية):

وتسمى أيضا بالشخصية المحورية، وهي التي يطلق عليها اسم الشخصية البطلة وتدور حولها معظم أحداث الرواية، وفي تعريف لها هي "الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، وتتمتع الشخصية الفنية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل مجال النص القصصي"[1]، فهي النموذج الذي يشكله الروائي من خلال الدور الموكل إليها سواء أكان تصويرا أم تعبيرا، وفي ذات السياق تعتبر الشخصية الرئيسية الدائرة المحيطة بالواقع، "فهي التي تدور حولها أو لها الاحداث، وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخوص الأخرى حولها، فلا تطغى أي شخصية عليها"[2]، أي أنها تستأثر اهتمام وتركيز الروائي وتكون محل اهتمام الشخصيات الثانوية الأخرى كذلك.

-الشخصية المساعدة (الثانوية):

وهي الشخصية الثانوية والمساعدة التي تشارك في تطور سير الحدث القصصي، وهي "تأتي بعد الشخصيات الرئيسية مباشرة، وتؤدي وظائف مكملة لتلك التي تؤديها الشخصيات الحكائية الأخرى، وهي متنوعة بتنوع وظائفها"[3]، بمعنى أن الشخصية الثانوية لا تكون بمعزل عن الشخصية الرئيسية، حيث أنها تختلف باختلاف الدور الذي تؤديه، والشخصية الثانوية "لها مكانتها ودورها في الرواية، والكاتب المتمكن هو الذي لا يستغرق كل فئة في شخصيته الرئيسية، بل يهتم بشخصياته الثانوية مثل عنايته ببطله"[4]، ومنه نستخلص أن الشخصية الثانوية تتساوى مع الشخصية الرئيسية من حيث الأهمية، فهي الداعمة والمكملة لها، ولا يمكن أن يخلو أي عمل سردي منها.

---

[1]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر (دط)، 2009، ص45.

[2]- عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان الأردن، ط4، 2008، ص135.

[3]- أمينة فزاري، سميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتب الحديثة للنشر، القاهرة، ط1، 2012، ص153.

[4]- محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004، ص29.

-الشخصيات المشاركة (العابرة):

وهذه الشخصيات قليلة الظهور في العمل الروائي، وهي" الشخصيات التي نادرا ما تظهر على مسرح الحدث، ويكون ظهورها عابرا مرهونا بسد ثغرة سردية محدودة جدا"[1] فالشخصيات المشاركة ليس لها دور أساسي داخل الحكي السردي، وكثيرا ما يلجأ إليها الراوي لاستذكار بعض الاحداث.

وتكتسب الشخصيات قيمتها داخل العمل الروائي من خلال النظر إلى مشاركتها في أحداث الرواية ونسبة حضورها فيها.

ج ـ الزمن: يعد الزمن عنصرا مهما من عناصر النص السردي، إذ تعددت مفاهيمه وتباينت الآراء حوله، فلم يستقروا له على تعريف واحد له.

1-أـ لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور " الزَّمَان اسْم لِقَلِيل مِنَ الوَقْتِ أَوْ كَثِيرِه... يكون الزَّمَن شَهْرين إلى سِتَّة أَشْهُر، والزّمن الشّيء، طَالَ عَلَيْهِ الفَصْلُ من فُصُولِ السّنَةِ وَعَلَى مُدة وِلاية الرّجُلِ ومَا أَشْبَهَهُ وَأَزْمَن الشَّيء، طَالَ عَليهِ الزَّمَان وَأَزْمَنَ بِالمكَانِ أَقَامَ بِهِ زَمَاناً، إن دَلاَلَةَ الإِقَامَةِ والبَقاءِ وَالمكثِ مِن أَبْسَطِ دلالاتِ الزَّمَنِ"[2]، فالزمن وحدة لقياس الحركة ومدة الإقامة والمكث، وقد ورد تعريفه في القاموس المحيط أنه " اسْمٌ لِقَلِيلِ الوَقْتِ وكَثِيرِه، وهو جَمْعُ أزْمَانٌ وَأَزْمنةٌ"[3]، أي أن الزمن يركز على المدة مهما كانت طويلة أو قصيرة.

ب-اصطلاحا: "مجموع العلاقات الزمنية، السرعة، التتابع، البعد... بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما، وبين الزمان والخطاب المسرود والعملية المسرودة"[4]، فهو الوقت الذي يتم فيه السرد.

كما يعد الزمن من أهم بنيات ومكونات النص السري فهو "يشد إليه كل عناصر البنية الأخرى بقدرته على التمركز وفق رؤية الكاتب المستمدة من طروحات نظرية تنهل من خصوصية الخطاب السردي الذي جعل الزمن إحدى بيانات فن الرواية"[5]، فالزمن يمثل محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزائها الأخرى، ويقصد به أنه لا يمكن تصور أي ملفوظ بدون زمن، فلا حياة بدونه.

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص44.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، (مادة زمن)، ج3، ص202.

[3]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (زمن)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1999م، ص225.

[4]- المصدر نفسه، ص199.

[5]ـ مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص48.

2ـ المفارقات الزمنية:

"إن الترتيب الزمني في الرواية أو قصة ما، ليس من الضروري أن يتطابق فيه تتابع الأحداث مع الترتيب الطبيعي لأحداثها كما جرت في الواقع، وهكذا باستطاعتنا التمييز بين زمنين وهما زمن القصة وزمن السرد، فالأول يخضع بالضرورة للتابع المنطقي للأحداث، بينما الثاني لا يتقيد بهذا التتابع المنطقي فعندما لا يتطابق هذين الزمنين، فإننا نقول إن الراوي يولد مفارقات سردية والتي تكون تارة استرجاع وتارة أخرى استباق."[1]، وبهذه المفارقات فإن الراوي يستطيع التلاعب بالزمن وفق ما تقتضيه حاجة السرد، وذلك الرجوع للخلف (الماضي) أو الاستباق نحو الأمام (المستقبل).

أ–الاسترجاع:

يعد الاسترجاع مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة إلى اللحظة الراهنة، وهو "استعادة لواقعة حدثت قبل اللحظة الراهنة أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع...كما أن الاسترجاع فسحة معينة وكذلك بعد معين... وإكمال الاسترجاع أو العودة يملأ الثغرات السابقة التي نتجت من الحدث أو الإغفال في السرد و الاسترجاعات المتكررة والعودة تعيد تكرار ذكر الوقائع الماضية"[2]، كما أنه يعد" ذاكرة النص ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردي إذ ينقطع زمن السرد الحاضر، ويستدعي الماضي بجميع مراحله ويوظفه في الحاضر السردي، فيصبح جزء لا يتجزأ من نسيجه"[3]، أي أنه بذلك يكسر خطية الزمن وينقلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها الرواية، ومن خلال ذلك يمكن اعتبار الاسترجاع تقنية زمنية يستعين بها الراوي ليجدد حدثا سابقا.

– أنواعه:

الاسترجاع الخارجي:

يعرفه عبد المنعم زكريا القاضي بعبارة واضحة " الاسترجاع الخارجي استعادة أحداث تعود إلى ما قبل بداية الحكي" أي استعادة أحداث ووقائع تعود إلى ما قبل بداية الحكي"[4]، فهو يعود إلى ما قبل بداية الرواية، إذ يمثل الوقائع الماضية التي حدثت قبل بدأ الحاضر السردي، بحيث يستدعيها الراوي في أثناء السرد.

---

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص74.

[2]ـ جيرالد برنس، المصطلح السردي ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م، ص25.

[3]– مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص192.

[4]ـ عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ص111.

الاسترجاع الداخلي:

يقول عبد المنعم زكريا هو "استعادة أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها"[1]، بحيث يتيح الفرصة للروائي من أجل إعادة أحداث لها صلة بالقصة الرئيسية وبشخصياتها المركزية لمسارها الزمني.

ب–الاستباق:

الاستباق هو سرد الحدث قبل وقوعه، ويعرفه سعيد يقطين بأنه "حكي شيء قبل وقوعه"[2]، ويعني هذا قول الشيء قبل وقوعه والاستباق إلى قوله قبل أوانه، ومن أبرز خصائصه، "هي كون المعلومات التي يقدمها لا تتصف باليقينية فما لم يتم قيام الحدث بالفعل فليس هناك ما يؤكد حصوله"[3] فالاستباق محاولة يلجأ إليها السارد لكسر الترتيب المتسلسل للأحداث الزمنية، وهو نوعان استباق كتمهيد واستباق كإعلان:

الاستباق كتمهيد:

وهو عبارة عن تنبؤات وتكهنات لما هو متوقع حصوله، "وتأتي على شكل توقع حادث أو التوقع بمستقبل الشخصيات"[4].

الاستباق كإعلان:

يقول مها حسن قصراوي أن الاستباق كإعلان هو الذي "يعلن بصراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق"[5]، ويلخص فيه السارد مجموعة من الحوادث التي ستقع في المستقبل القريب.

3–تقنيات زمن السرد: المدة هي التفاوت النسبي الذي يمكن قياسه بين ومن القصة وزمن السرد وتدرس المدة من خلال تقنيات أربع هي: الخلاصة والحذف، المشهد والوقفة وسنقوم بدراستها وفق مستويين: تسريع السرد وإبطاء السرد.

---

[1]- المرجع السابق نفسه، ص112.

[2]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط5، 2005 ص97.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص132.

[4]- المرجع السابق نفسه، ص132.

[5]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية ص137.

أـ تسريع السرد:

الخلاصة:

من أهم الوسائل الاختزالية التي يعتمد عليها الكاتب أثناء سرده للأحداث، وهي "سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"[1]، وتمدنا الخلاصة بالمعلومات والأحداث الضرورية بأسلوب مركز ومختصر في مقاطع موجزة.

الحذف:

يعد الحذف من أهم التقنيات الزمنية التي تعطي السرد سرعة تمكنه من تجاوز الأحداث، وهو "تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة"[2]، ويعرفه حميد لحميداني بأنه "تجاوز السارد لبعض المراحل من القصة دون إشارة إليها"[3]، ويقصد به القفز زمنيا بإسقاط سرد مجموعة من الأحداث التي جرت في فترة زمنية طويلة أو قصيرة دون الإشارة إليها، كما يشترك إلى جانب الخلاصة في تسريع حركة السرد.

ب ـ إبطاء السرد:

المشهد أو الحوار:

يعد المشهد أحد أهم تقنيات السرد التي تساهم في سير الحركة الزمنية للرواية، وهو عكس التلخيص، ويقصد به: "المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد، إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق"[4]، فالمشهد يتجلى في الحوار القائم بين الشخصيات في الرواية، ومن خلاله يتم إبطاء السرد.

الوقفة:

وهي العنصر الذي يشترك مع المشهد في إبطاء وتعطيل زمن السرد، وهي عبارة عن "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها"[5] كما

---

[1]– حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص36.

[2]– مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص155.

[3]ـ حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص77.

[4]– المرجع السابق نفسه، ص78.

[5]ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما يمكن أن نسمي الوقفة بالاستراحة التي يتوقف فيها السارد فاسحاً المجال أمام الوصف لتقديم الكثير من التفاصيل، ومعطلا بذلك حركة السرد.

د –المكان: يعتبر المكان من أهم مكونات النص السردي فهو بمثابة الوعاء الذي يحوي عناصر البنية السردية، فأهميته في العمل الروائي لا تقل أهمية عن الشخصيات والزمن، كما يستحيل أن نجد نصا روائيا خاليا ومجردا تماما من عنصر المكان الذي يمثل فضاء تتحرك فيه الشخصيات وتدور في حقله الأحداث فهو "الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[1]، فالمكان هو فضاء ومسرح الأحداث.

1ـ أ – لغة: يؤدي المكان دورا هاما في البناء الفني للرواية، فذكر الأماكن في الرواية يساعد على توضيح الرؤى فيها ويسهم في إعطاء نظرة شاملة عن الرواية، وقد تعددت تعريفات المكان من معجم لآخر، فجاء في لسان العرب لابن منظور "المكَانُ وَالمكَانَةُ وَاحِد، مَكَان في أصل تقدير الفِعْلِ مفعل لأنه مَوْضِع لِكَيْنُونَةِ الشَّيءِ فيه، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا كثر أَجروه في التّصْرِيف مَجْرى فِعَال والمكان: المَوْضِعُ وَالجَمْعُ أَمْكِنَة وأَمَاكِن جَمْعُ الجَمْعِ"[2]، والمكان هو البقعة من الأرض والموضع الذي يحتوي الأشياء.

كما يتكرر المفهوم اللغوي للمكان بمعنى الموضع، المحل، المكانة الرفيعة في المعاجم اللغوية على اختلاف المعاجم كما ورد في معجم تاج العروس،" المكان الموضع الحاوي للشيء"[3]، وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم.

1ـ ب – اصطلاحا: اختلفت مفاهيم المكان من الناحية الاصطلاحية نتيجة لاختلاف الدراسات حوله "فالمكان يشير إلى المشهد أو البيئة الطبيعية أو الاصطناعية والبنايات بمختلف أنماطها ووظائفها الشوارع ...، التي تعيش فيها الشخصيات الروائية وتتحرك وتمارس وجودها"[4]، فهو المسرح الذي تجرى فيه الأحداث، والمحيط الذي يتيح للشخصية التحرك وتقمص الأدوار، ويعرفه حسن بحراوي بأنه "شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجرى فيه الأحداث، فالمكان يكون منظما بالدقة نفسها التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية"[5]، أي أن المكان أحد أهم الأركان التي تشكل تشكل بنية النص الروائي ولا يمكن الاستغناء عنه، فالسرد لا يكتمل إلا بحضوره.

---

[1]ـ حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1991، ص65.

[2]ـ ابن منظور، لسان العرب (مكان)، ج13، ص136.

[3]ـ السيد محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج9، ص 349.

[4]ـ أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جيرا إبراهيم جيرا، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2001، ص12.

[5]ـ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، ص32.

2 –أنواع الأمكنة:

يعد المكان الروائي عنصرا مهماً يسهم في خلق المعنى داخل الرواية وينقسم المكان إلى قسمين:

أ –المكان المغلق:

هو مكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الانسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين"[1]، كما تنحصر الأماكن المغلقة في أماكن معينة وتشكل "البيوت والغرف والحمامات والأقبية والسراديب والسجون والمعابد وكل الفضاءات المكانية ذات الطبيعة المحصورة في حدود مغلقة"[2] فقد تكون الأماكن المغلقة مأوى اختياريا أو إجباريا كما قد تكون فضاء للراحة والألفة أوقد تكون مصدراً للخوف.

ب –المكان المفتوح:

هو على عكس المكان المغلق و"الأماكن المفتوحة عادة ما تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع ومدى تفاعلها مع المكان هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحي، حيث يوحي بالألفة والمحبة"[3]، وهو المساحة الواسعة التي تكون عادة متنفس يعج بالناس ويلقى فيها الشخص حريته، ويقضي فيها مشاغل حياته.

---

[1]ـ فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص163.

[2]ـ محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص217.

[3]ـ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، دمشق (دط)، 2011، ص95.

الفصل الثاني: بنية الأحداث والشخصيات في رواية أنا وحاييم

أولا: بنية الأحداث:

ـ أحداث رئيسية.

ـ أحداث ثانوية.

ثانيا: بنية الشخصيات:

ـ شخصيات رئيسية.

ـ شخصيات ثانوية.

ـ شخصيات مشاركة.

ـ شخصيات غائبة.

الفصل الثاني: بنية الأحداث والشخصيات في رواية أنا وحاييم

في هذا الفصل سنحاول الكشف عن أحداث الرواية بين رئيسية وثانوية، ثم التطرق إلى أنواع الشخصيات المتواجدة بالرواية.

أولا: بنية الأحداث في رواية "أنا وحاييم"

لقد قسّم الراوي الأحداث من خلال تسميته لكل فقرة في الرواية بعنوان خاص بها، وعليه فقد استخلصنا الأحداث البارزة والثانوية في كل مقطع والتي استعرضناها كالآتي:

أ. 1944من سعيدة إلى معسكر:

تعددت الأحداث في هذا المقطع، ويمكن أن نستخرج منها أحداث رئيسية وأحداث ثانوية على النحو التالي:

1-أحداث رئيسية: وهي التي تشكل لحظات سردية ترفع الحكاية إلى نقاط حاسمة وأساسية في الخط الذي تتبعه الاحداث. ومما ورد من أحداث رئيسية في هذا المقطع:

ـ انتقال "أرسلان" وحاييم من الطور الابتدائي إلى الطور الإكمالي وتحولهما من مدينتهما الأم إلى معسكر، لأن سعيدة لا تحمل مدرسة إكماليه ولا ثانوية آنذاك، وبذلك يصبحان من القلائل من أبناء الأهالي الذين واصلو تعليمهم، ويقول في ذلك: "انتقلنا إلى ثانوية معسكر البعيدة بحوالي ثمانين كيلو مترا إلى الشمال على طريق وهران"[1].

ـ أثناء دراسة أرسلان ورفيقه حاييم بثانوية معسكر، وبين العطلة والأخرى التي تتخلل الفصول الدراسية يعودان لقضاء عطلتها في مدينة سعيدة بين الأهل، مستمتعين بالأكلات الشعبية وجو المدينة، وفي هذا يقول: "كنا قد عدنا إلى مدينتنا عودة الهمتنا بتصور كل أنواع التراخي والكسل والانفكاك كلها. فقضينا أسبوعا في الأكل التقليدي والنوم"[2].

ـ نجاح الصديقين في شهادة البكالوريا وتخلصهما من مراقبة "مسيو ويل" الدائمة على حد تعبير الراوي، واحتفالهما بهذه المناسبة بالدخول إلى حانة كانت في طريقهما، وبذلك انتهت مغامرتهما في ثانوية معسكر والمدينة كلها؛ لأن الدراسة الجامعية كانت في مدينة الجزائر، وقد وصف احتفاله بهذا الحدث المفرح قائلا: "حقاً. كان احتفالا أفخم من ذاك الذي نُظم لنجاحي في شهادة التعليم للدرجة الثانية من الطور الأول. وقبله مسابقة السنة السادسة"[3].

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص19.

[2]ـ المصدر نفسه، ص36.

[3]ـ المصدر نفسه، ص54.

2-أحداث ثانوية: وهي أحداث لا تسهم في نمو الرواية وإنما تكون مكملة ومساعدة للأحداث الرئيسية، ويعد وجودها ضروريا لبنية الحدث الروائي، ومن الأحداث الثانوية التي وردت في هذا المقطع:

ـ واقعة هروبهما من "ألفونسو باتيست"، والتي تعد من عفرتة الصديقين الطفولية، وهذه الحادثة ظل الراوي يتذكرها حتى بعد كبره كلما تذكر المدرسة الابتدائية "جول فيري"، " ولا تزال رعشة الرعب تلك تهزني كلما تذكرت ان سيارة ألفونسو باتيست كانت ستدركنا بين حانة سكوارا والقنطرة التي يمر تحتها الوادي"[1].

ـ حادثة تفوقه على "مسيو ويل" عند مدير ثانوية معسكر، وذلك في مسألة احتجاجه عليهم لعدم تناولهم لنوع معين من اللحوم، لكن المدير قابل احتجاجه بالرفض وطلب تخصيص طاولة خاصة لهم، وقد عبر عن ذلك قائلا: "تلك الحادثة، إن جاز لي أن أعتبرها كذلك، كانت أولى مواجهة لي مع مسيو ويل، في بداية سنتي الأولى، حول طبيعة اللحوم التي أحجمت عن تناولها"[2].

ب. ما أبعد الجامعة:

لقد كانت هذه المرحلة فارقة في حياة الراوي، لأنها ستُكَون الكثير من شخصيته، ولذلك فهي تحتوي على عدة أحداث مهمة في حياته يجب يذكرها:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ التحاق الصديقين بالجزائر العاصمة واستقبال السيد "رامون بنكيكي" صديق والد حاييم لهما، حيث أصبح أول دليل لهما في المدينة الجديدة، كما أنه استقبلهما في بيته وسعى من أجل إيجاد مسكن لهما، ويبرز ذلك في قوله: "عندما رجعت إلى نفسي ذات يوم في غياب حاييم الذي كان تواعد مع السيد بنكيكي لمراجعة أحد سماسرة كراء السكنات"[3].

ـ التقائه بالصادق هجاس وحسيبة وصال، وهذا الحدث شكل فارقاً في مسار حياته الجامعية بحيث أصبحا أول صديقين من الأهالي، وكذلك كانا بالنسبة له مرجعا في الدفاع عن حقوق الطلبة الأنديجان كما يطلق عليهم في الجامعات آنذاك، وعن ذلك يقول: "مثل استرجاع شعور بأمان، بدا لي فجأة أننا لم نعد وحيدين، أنا وحاييم. فقد وجدت الصادق أيضا "[4].

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص14.

[2]ـ المصدر نفسه، ص23.

[3]ـ المصدر نفسه، ص73.

[4]ـ المصدر نفسه، ص81.

2ـ أحداث ثانوية:

ـ قضائه لعطلته الصيفية لسنته الثالثة في الجامعة مع جدته، حيث كان هذا الحدث سببا في معرفة أرسلان لعدة أمور قديمة عن الجزائر قبل الاستعمار وفي بداياته، وهذا ما دفعه إلى أن يصف جدته بأنها ذات بلاغة فاتنة لا تعرف إلا لخاصة من نساء الأهالي، ويتضح ذلك في قوله: "فلطالما وجدت جدتي، فوق وسامتها الساحرة ذات بلاغة فاتنة، لا تعرف إلا لخاصة من نساء الأهالي اللائي كن، قبيل الاحتلال، من الموسرات ومن المتعلمات في الكتاتيب والزوايا"[1].

ـ وفاة والدة حاييم، ودخوله في حداد مطول عليها بلغ الثلاثين يوما، وهذا الذي جعل الراوي يطوف وحيدا في المدينة، وهذا الحدث سبب الألم والكآبة للصديقين، وقد جاء ذلك في قوله: "خلال تلك العطلة، لأن حاييم دخل لمدة ثلاثين يوما في حداد على والدته التي توفيت قبل أيام"[2].

ج. 1954ليلة عيد الأموات الحمراء:

لقد تحدثت هذه الفقرة عن مرحلة فارقة في تاريخ الجزائر كلها، وتطرقت إلى أحداث يمكن سردها على النحو التالي:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ انفجار الثورة التحريرية أو ما ذكر في الرواية بعبارة "ليلة عيد الأموات الحمراء" كناية على الدم الكثير الذي سال في تلك الليلة، ولقد عقبها توتر وقلق كبيرين بين الأقدام السوداء والأوروبيين، ولقد ظهر ذلك جلياً من خلال عناوين صحف اليوم الموالي، والتي لقت تهافت كبير لاقتنائها، يقول الراوي في ذلك: "فضحكنا. وعرّجنا على كشك الجرائد الذي فاجأنا، إذ وقفنا أمامه بأن جميع الصحف المعتاد بقاؤها إلى أن تلتحق بها صحف المساء، نفذت... لمِانْشيت ((ليلة عيد الأموات كانت حمراء))، بالبنط الغليظ الأحمر وتحته بالأسود ((عمليات دامية في مناطق كثيرة من الجهة الشرقية للبلاد نف>ها خارجون عن القانون))"[3].

ـ إعلان حالة الطوارئ في كل من منطقتي الأوراس والقبائل، وإقرار الرقابة على الصحافة، وهذا ما يؤذن ببداية الخوف بين أفراد الشرطة الفرنسية وأن الخوف قد تعدى الشعب إلى حكومته، وفي ذلك يقول: "ما يحدث يخيفهم حقا. لأنهم لم يكونوا يتوقعون هذا الصدى الناجم عما يجري"[4].

ـ نجاح أرسلان في الجامعة وتخرجه منها بعد أن أتم عامه الرابع في قسم الفلسفة، فكان هذا الحدث بمثابة

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص107ـ 108.

[2]ـ المصدر نفسه، ص109.

[3]ـ المصدر نفسه، ص124.

[4]ـ المصدر نفسه، ص131.

الخلاص من الضغوطات التي كان تمارس عليه وعلى كافة الأهالي في الجامعة، وخاصة في هذه المرحلة الحساسة.

2ـ أحداث ثانوية:

ـ اجتماع أعضاء الخلية السرية في بيت جدة أرسلان وفي هذا الاجتماع يلتقي بزميلة الطفولة زليخة النضري والتي ستكون زوجته في المستقبل.

ـ التقاء أرسلان بصديقته سيلين صدفة في مكتبة وهران عند اقتنائهما لبعض الكتب، وكانت هذه المناسبة سعيدة للصديقين.

د. ليلة ثلج في الجبل:

في هذا المقطع التحق أرسلان بالجبل واشتد وطيس المقاومة، لذا فهي مليئة بالأحداث والوقائع الأليمة، وفيها أيضا جانب زليخة في الجبل، وحبها لها هناك، ولذلك يمكننا ذكر أحداثها على النحو التالي:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ التحاق أرسلان بالجبل، وانضمامه لصفوف جيش التحرير الوطني، شأنه شأن الشعب الجزائري الغيور على وطنه، وقد أرجع التحاقه له للاختيار لا للإكراه أو لكسب شهرة وبطولة، وفي هذا الشأن يقول:

"إن كنت التحقت بالجبل، اختيارا لا إكراها، لخوض حرب التحرير لا لصنع بطولة"[1].

ـ تنفيذ زليخة النضري مهمة قتل المفتش "آلان بورسييه" بتكليف من رئيس الخلية السرية سي فراجي، وقد نجحت في تلك المهمة، لكنها أصيبت في ساعدها وأسعفت إلى صيدلية حاييم الذي قام بتضميد جرحها، يقول الراوي في ذلك: "فسألتها إن كان انتابها إحساس مّا حين أطلقت النار على المفتش آلان بورسييه. ردت سريعا أنها لم تشعر إلا بأنها تنفذ أمرا"[2].

ـ مفاوضات إيفيان في 18.03.1962 وإعلان وقف النار بعدها بيوم واحد، وهذا الحدث اعتبر نصرا كبيرا للمقاومة، يقول في ذلك على لسان حاييم: "ونحن اليوم في 18.03.1962، تلك المحادثات التي تلها الثامن مارس الجاري مفاوضات إيفيان للإعلان عن وقف اطلاق النار وإعداد المرحلة الانتقالية ونقل السيادة"[3].

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص175.

[2]ـ المصدر نفسه، ص183.

[3]ـ المصدر نفسه، ص210.

2ـ أحداث ثانوية:

ـ وفاة السي نضري معلم القرآن والفقيه، والد زليخة النضري، وقد أعاد السي فراجي أمر مقتله إلى منظمة اليد الحمراء.

ـ وفاة حسيبة وصال صديقة أرسلان في المرحلة الجامعية، وذلك بعد تنفيذ الاحتلال الفرنسي تفجيرا ضد أعضاء الخلية السرية، لذلك فقد استشهد معها كل من عمر وجمال، يقول الراوي في هذا الحدث:

"القتلة! ونسفوا المخبأ بمن فيه من أعضاء الخلية"[1].

ـ مقتل والد أرسلان من طرف جهة مجهولة، بعد عودته من الحج، وقد شارفت الحرب آنذاك على سنتها السادسة، ثم تلاه بأشهر وفاة والدته، وهذا ما سبب صدمة كبيرة له.

ـ حرق صيدلية حاييم، وقراءة أرسلان لمذكرته التي حوت الكثير من الاعترافات والأحداث التي مرت عليه.

هـ. 1962نعم! لا!:

هذه المرحلة هي مرحلة استثنائية بالنسبة للشعب الجزائري فهي المرحلة التي أتيح له فيها تقرير مصيره ولهذا كانت مليئة بالأحداث السعيدة داخل الرواية، ويمكن أن نستخلص هذه الوقائع فيما يلي:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ الاستفتاء الشعبي وإعطاء الشعب الجزائري حق تقرير مصيره، وشهد ذلك اليوم تهافت غير مسبوق للأهالي على مكاتب الاقتراع، وقد أذهل هذا الحدث كل من رآه، وانتهت نتيجة هذا الاستفتاء بفوز ساحق لكلمة نعم الشعب يريد الاستقلال، يقول في ذلك: "كان مشهدا عظيما، استثنائيا وسرياليا"[2].

ـ الإعلان عن الاستقلال بشكل رسمي صباح الخامس من جويلية، وهو حدث سعيد واستثنائي، ولقد تابع الصديقان وزليخة إعلان هذا الخبر في كل محطات الإذاعة، ابتداء من صوت القاهرة وباريس ولندن وتونس والرباط، انتهاء بالجزائر، يقول في ذلك: "ومن مذياعه تابعنا نشرات الأخبار المفصلة عن الإعلان الرسمي للاستقلال في أكثر من محطة، كما لو أننا أردنا أن نتيقن أخيرا ونهائيا من أن الامر بات حقيقة"[3].

2ـ أحداث ثانوية:

ـ حصار الأهالي لدار حاييم وصب غضبهم عليه غداة الاستقلال كونه من اليهود، جهلا منهم أنه كان يناصر الثورة ويعمل لصالحها، وتدخل كل من زليخة وأرسلان لإنقاذه.

ـ الاحتفالات القائمة بمناسبة الاستقلال، وذلك مباشرة بعد الاعلان عنه بشكل رسمي، واكتظاظ الساحات

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص186.

[2]ـ المصدر نفسه، ص213.

[3]ـ المصدر نفسه، ص217.

العامة بالأهالي.

و. كفرحة عابرة:

بعد استقلال الجزائر جاءت مرحلة البناء، وكان للراوي في هذه المرحلة دور كبير كونه من المساهمين في الاستقلال، وكذلك هو من الطبقة المثقفة، لذا فقد جاءت هذه المرحلة مليئة بالأحداث التي تخصه ومنها:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ تعيين أرسلان مفوضا لبلدية المدينة شهرين بعد إعلان الاستقلال، وهذا ما جعله يشارك في بناء الجزائر ما بعد الحرب كونه يملك المؤهلات لذلك، وفي هذا يقول: "إن لم أكن قد ناقشت أمر قيادة ج.ت.و مع مسؤولها السياسي، إذ أبلغني قرار تعييني مفوضا لبلدية المدينة شهرين بعد إعلان الاستقلال"[1].

ـ عقد قران أرسلان على زليخة النضري، وقد كان حدثا كبيرا وسعيدا، وقد ظهر حاييم في هذا الزفاف بأبهى حلة، وكذلك جميع أصدقائه وأقاربه وجمع غفير في جو مهيب واحتفالات كبرى كون الراوي من عائلة آل حنيفي التي لها جاه كبير في أوساط العامة، ويبرز ذلك في: "يوم حضر حاييم مراسم عقد قراني على زليخة، في دار البلدية نفسها ... وكان ساعتها على ألطف سحنة"[2].

2ـ أحداث ثانوية:

ـ جولة الصديقين في أرجاء المدينة وسعادتهما الغامرة بأنها أصبحت كلها ملك للأهالي بعدما كانت كل الساحات والأماكن العامة تكتظ بالأقدام السوداء والأوروبيين.

ز. يوم للخيبة يوم للرحيل:

يحمل هذا المقطع الكثير من الأحداث لأرسلان، فقد تلقى في هذه المرحلة صعوبات جمة خاصة في إطار عمله كمفوض للبلدية، والتي نسردها كالتالي:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ صدام أرسلان مع مسؤول الجهاز السياسي، لأن أرسلان خالف سياسية الحزب الدكتاتورية والتي تعطيهم الحق في التفرد في اتخاذ القرار، وكان ذلك في السنة الثانية من الاستقلال.

ـ تعيين أرسلان للعمل في دار المعلمين بوهران، ويعتبر هذا الحدث كبيرا كونه جعل من الراوي يمارس مهنته التي درسها. يقول: "ونظرت إلي، بفرح غامر، قائلة: أستاذ في دار المعلمين!"[3].

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص249.

[2]ـ المصدر نفسه، 274.

[3]ـ المصدر نفسه، ص302.

2ـ أحداث ثانوية:

ـ افتتاح حاييم لصيدلته الجديدة، وكان ذلك بمساعدة صديقه أرسلان.

ح. 1965بوجع الانكسار والفقد:

في هذا المقطع الأخير من الرواية، والذي احتوى حدثاً سبَّب الحزن والأسى للراوي كونه فقد صديق طفولته ودربه، ويمكن تلخيص الأحداث فيما يلي:

1ـ أحداث رئيسية:

ـ وفاة السيد حاييم بنميمون وهو صديق أرسلان الذي تقاسم معه أغلب مراحل حياته من الطفولة إلى الكبر مخلفاً له وجعاً كبيرا وفراغاً عظيما، تاركا له رسالة يوصيه فيها بعدة أمور، يقول حاييم: "صديقي العزيز الوفي أرسلان، اعذرني إن لم أخبرك قبل هذا الوقت بأني سأرحل قريبا عن هذه الدنيا وفي قلبي حب عظيم لك ولأهلنا وبلدنا"[1].

2ـ أحداث ثانوية:

ـ زيارة حاييم لأرسلان في بيته بوهران، والتي جاءها من أجل إجراء فحوصات طبية، وكانت هذه الزيارة في السبت الأول من شهر جوان وفي هذا الشأن يقول: "وعلى الرغم من ذلك فقد شكّل وصول حاييم، يوم السبت الأول من شهر جوان، حدثا بالنسبة إلينا أنا وزليخة"[2].

ـ إخبار حاييم صديقه أرسلان عن نقل ناقوس مدينة سعيدة إلى فرنسا وهذا ما جعله يحزن لهذا الخبر لأن المدينة فقدت أحد الأشياء التي كانت تبرز فترة الاستعمار.

ثانيا: بنية الشخصيات في رواية "أنا وحاييم"

من خلال دراستنا لطبيعة الشخصيات في رواية "أنا وحاييم" يمكن أن نقسمها من حيث الأدوار ومكانتها داخل الرواية إلى:

أ. شخصيات رئيسية:

يحتوي كل عمل وإنتاج روائي على شخصيات محورية تدور حولها الوقائع والأحداث، تسجل حضورا واسعا داخل العمل الروائي، وتسمى شخصيات رئيسية، وفي روايتنا هذه التي تطرقنا لها توجد ثلاث شخصيات رئيسية هي: "أرسلان" و "حاييم" و"زليخة"، فلكل شخصية وظيفة تؤديها داخل العمل الروائي رغم التقارب الحاصل بينهما:

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص325.

[2]ـ المصدر نفسه، ص315.

***الشخصية المناضلة:** وهي الشخصية التي ظهرت في معظم أحداث الرواية تدعو إلى الحرية، وكرست حياتها للدفاع عن الوطن، وذلك في كل مراحل حياتها بداية من الطفولة وفترة الدراسة في الثانوية والجامعة إلى الالتحاق بالجبل، وحتى إلى ما بعد الاستقلال، فقد دعت إلى الحرية ونبذ الظلم والسعي لمحاربته، وتتمثل في:

ـ أرسلان بن حنيفي: أولا يجب التطرق إلى معنى هذا الاسم قبل دراسة دوره في الرواية، وهو "مكون من شقين أحدهما "أرس" الذي يعني ابن عرس والشق الآخر "لنك" الذي يحمل معنى الثعبان أو التنين وهو اسم من أصل صيني"، "أما عن اسم أرسلان كاملا الذي يستخدم كَاسْم علم مذكر فإن المغول هم أول من استخدموه وكان بمعنى الأسد أو الشجاع، وقد استخدمه بعد ذلك العرب بمعنى الأسد الهصور المقدام"[1].

اسم "أرسلان" في الرواية، هو الشخصية التي تشكل محور ولب السرد فيها، وهو الراوي نفسه، حيث يمثل الشخصية العربية الجزائرية المناضلة والتي حاربت الاستعمار الفرنسي بشتى الطرق، وهو كذلك يمثل فئة المناضلين الجزائريين الذي سعوا إلى مناهضة العدو بالعلم والسلاح، ولذلك استخدم الكاتب هذا الاسم كدلالة لشجاعته وإقدامه، يبدو من خلال الرواية أيضا أنه يسعى جاهدا إلى تحقيق أهدافه.

مارس كل أنواع الشغب والعفرتة مع صديقه "حاييم" والذي عاش معه كل مغامرات الصبي بحلوها ومرها وتقاسم معه عدة أحداث وخاض معه الكثير من الأشياء، يقول في الرواية وهو يصف أحد عفرتتهما: "هل تذكر آخر عفرتاتنا؟ تلك التي ارتعبنا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فينا عالقين بشجرة إجاص في بستان مزرعته"[2].

شخصية تؤمن بالتسامح الديني في إطار الإنسانية كثيرة التنقل من أجل طلب العلم والمعرفة فقد تنقل بين عدة ولايات من أجل ذلك من بينها (سعيدة، معسكر، والجزائر العاصمة)، ولقد تلقى عدة صعوبات في مساره العلمي، وهو هنا أيضا الشخصية الجزائرية المقهورة أو ما يطلق عليهم "الأنديجان" في الأوساط الأوربية والتي عانت العنصرية والتمييز إبان الاستعمار الفرنسي، ويتضح ذلك في قوله: "مع ثلاثة وعشرين زميلا من الأوروبيين والأقدام السوداء، الذين كانوا في غالبيتهم، خاصة المحظيين منهم بالنظام الخارجي، ينظرون إلينا أنا وحاييم، نظرة أهل المدينة إلى الريفيين. وكانوا، لاسمينا قد رتبونا بقوة أحكامهم المسبقة، ضمن خانة الأنديجان"[3]، كما يعتبر أيضا جنديا مكافحا داخل صفوف جيش التحرير الوطني شأنه في هذا شأن أغلب الشعب الجزائري وخاصة الطبقة المثقفة منهم، ولقد التحق بصفوف جيش التحرير طواعية لا إكراها، حبا في وطنه وغيرة على أبناء شعبه، لا لصنع بطولة ولا لحب ظهور أو كسب مجد، ونجد ذلك جليا في قوله: "إن

---

[1]ـ (moso3a-shamela.com) ، 22مارس 2019، بتاريخ 2021/04/02 الساعة: 22:30.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص13.

[3]ـ المصدر نفسه، ص24.

كنت التحقت بالجبل، اختيارا لا إكراها، لخوض حرب التحرير لا لصنع بطولة"[1].

***الشخصية الوطنية:** وهي الشخصية والتي رغم مخالفتها للشخصية الجزائرية عقائديا وفكريا إلا أنها رفضت التجنيس، وقررت الدفاع عن الوطن كباقي الأهالي، وتمثلت في:

ـ حاييم بنميمون: وهو اسم عبري وينطق أيضا "شيم" أو "شايم"، وهو شخصية رئيسية في الرواية وجاءت ملازمة لشخصية "أرسلان" الراوي في أغلب الأحداث والوقائع، لأنه صديق طفولته ورفيق دربه فقد عاش معه أغلب مراحل حياته من مغامرات ودراسة والمشاركة في مساعدة الثوار...

تمثل هذه الشخصية الأقلية الدينية من الأهالي داخل الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، ولقد تمتعت هذه الشخصية بالروح الوطنية وحب الاستقلال شأنها شأن المسلمين العرب، ويبرز ذلك في تمسكها بالثوابت الوطنية وعدم تغيير اسمها لكي تظهر كباقي الأوروبيين وبالتالي تستفيد من قانون التجنيس الذي يكسبها الحقوق والميزات مثلهم، ويتضح ذلك في: "فدليلهم بالنسبة إلى حاييم بنميمون، أنه لا يزال يستعمل اسما كان يجب على عائلته تغييره باسم أوروبي، كما فعلت ذلك عائلات من اليهود المستفيدين من قانون التجنيس"[2]، كما شارك حاييم أيضا في حرب التحرير بصفة خفية، وذلك من خلال مساعدته للثوار بتوفير الأدوية والوسائل الطبية التي كان يمدهم بها من صيدلته التي فتحها بعد تخرجه من الجامعة بتخصص صيدلة، فهو بذلك يبرهن أن روح المسؤولية تدب داخل روحه، ويبرز ذلك في قوله: "دخلت الصيدلية من بابها الخلفي حسب مخطط الانسحاب. وجدت حاييم في انتظارها. أدخلها المخبر. وربط على ساعدها ضمادة لإيقاف النزيف"[3].

رغم تمسك حاييم بالروح الوطنية وحب الجزائر إلا أن ديانته قد جلبت عليه سخط بعض الأهالي الذين يجهلون أن بعض الأقليات الدينية لديهم أيضا غيرة على البلد، لذا فقد تعرض إلى هجوم على منزله عند إعلان الاستقلال من طرف الأهالي، وكان ليقتل لولا تدخل "أرسلان" وزوجته. يتبين ذلك في: "ولما تجاوزت دار جدتي عن يميني، قاطعا الطريق إلى الرصيف الآخر، رأيت سدا من المتجمهرين الهائجين ضرب حول باب دار حاييم..."[4].

ارتبطت هذه الشخصية برابطة صداقة قوية مع "أرسلان" راوي الرواية وشاركت معها أغلب مراحل الحياة، وساد بينها الحب والوفاء رغم اختلاف الأديان بينهما، وتواصلت هذه الصداقة إلى حين مرضه بالسرطان ثم

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص175.

[2]ـ المصدر نفسه، ص24.

[3]ـ المصدر نفسه، ص182.

[4]ـ المصدر نفسه، ص224.

وفاته بعدها، تاركا لصديقه رسالة يوصيه فيها بأن يسهر على نقل جثمانه إلى مدينتهم وأن يدفن جنب قبر والده.

***الشخصية النسوية الصلبة:** رغم أنها من تنتمي إلى الفئة النسوية من الأهالي والآتي كن جلهن لا يلتزمن ببيوتهن، إلا أن هذه الشخصية خالفت المألوف واختارت مجانبة الثوار في الجبل ومشاركتهم في المحاربة ضد الاستعمار، وتتمثل في:

ـ زليخة النضري: زوجة "أرسلان" وسنده والتي تقاسمت معه كل شيء، فقد تعرف عليها في صفوف جيش التحرير، وأحبها هناك بسبب بسالتها وشجاعتها رغم كونها امرأة، وكان دائما ما يتحدث عنها داخل الرواية بشغف وحب كبيرين، يقول في قصه حبه لها: "يومئذ، مال قلبي نهائيا نحو زليخة. لا لأنها كانت آسرة بشبابها ووسامتها فحسب ولكن أيضا لإصرارها العنيد على أن تبدو هي الأخرى قادرة على تحمل حياة جندي تحرير في الجبل"[1]، وقد كانت زليخة هي الرفيقة المؤنسة لأرسلان في الجبل، وهي الصدر الدافئ الذي يعود له، ويواجه به قسوة الحياة، وجد فيها حنان جدته وتعويضا له عن والديه، فقد كانت عاطفته اتجاهها جياشة مليئة بالحب والعطف، ويعبر عن ذلك قائلا: "وطفقت أداعب خدها بأطراف أصابعي وقد سكن ذهني وجه جدتي بجانبي على فراشي تفعل ذلك وأنا طفل تنهش جسدي حمى الحصباء"[2].

مثلت هذه الشخصية صورة المرأة الجزائرية الحديدية التي وقفت ندا للاستعمار الفرنسي، وأسهمت بشكل مباشر في حرب التحرير جنبا إلى جنب مع الرجل، متحملة جميع الصعاب والمخاطر من أجل الوطن وشعبه، ويتضح ذلك في قوله: "كنت ألاحظ ذلك؛ فأنا نفسي، لرؤيتي زليخة في زي الجنديات الذي لبسته غداة التحاقها بعد تنفيذها عملية ضد المفتش آلان بورسيه وعلى وجهها برغم التعب صرامة المحاربة"[3]، وقد عاشت هذه الشخصية مع الراوي "أرسلان" منذ زواجها منه إلى آخر الرواية وحتى بعد وفاة "حاييم"، وهي بهذا تمثل الزوجة الجزائرية الوفية لزوجها والتي تقف سندا له في جميع مراحل الحياة.

ب ـ الشخصيات الثانوية: وهي التي تقوم بدور المساعدة لتسيير بعض الاحداث، وتظهر في المشهد بين الحين والآخر لتحك بالشخصيات الرئيسية، وقد احتوت رواية أنا وحاييم على العديد من الشخصيات الثانوية وهي:

ـ ألفونسو باتيست: ولقد أشار إليه الراوي عند التطرق إلى مرحلته الابتدائية في مدرسة "جول فيري"، وقد وصفه بأنه كان صارما ويكِنُّ العداء للأنديجان وهم العرب المسلمين، كما أنه تطرق إلى مغامرة حدثت لهما

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص 178.

[2]ـ المصدر نفسه، ص183.

[3]ـ المصدر نفسه، ص177.

معه، وظل يكررها كلما تذكر أيام طفولته، ويقول في هذا الشأن: "هل تذكر آخر عفرتاتنا؟ تلك التي ارتعبنا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فينا عالقين بشجرة إجاص..."[1]، كما أشار أيضا إلى طريقة الانتقام من "ألفونسو باتيست" التي قاما بها هو و"حاييم" عندما توجا بالنجاح في مدرسة "جول فيري" وهذا ما يبين كمية العداء بينه وبينهما، ويتضح ذلك في قوله: "وأنا أقف، تلك اللحظة، أمام صورة حاييم، استغربت كيف سكنت رأسينا فكرة الانتقام بذلك الشكل من أبي زميلنا ماكس. فما كنت أعرفه، شأني شأن حاييم، وكنا مطمئنين إليه أن ألفونسو باتيست لن يشكونا مرة أخرى"[2].

ـ **ميسيو ويل:** هو المراقب والحارس الشخصي للتلاميذ الجدد في الطور الإكمالي خلال نظامهم الداخلي، وهو من الأقدام السوداء وكان أشد عداء وصرامة من سابقيه خاصة بالنسبة لأرسلان، حيث كان يشدد عليه الخناق بمراقبته في كل شيء، يقول "أرسلان" في هذا الصدد: "وجدتني أشعر أنني أتعرض، أكثر من غيري من التلاميذ، لمراقبة الحارس ميسيو ويل لومباردو الدائمة؛ فقد راح، لأمر أجهله، يتحين لي أي إخلال بالنظام الداخلي، لتعريضي لعقاب"[3]، كما وصف عناده في مواجهة "ميسيو ويل" في عدم أكله للحوم، ولقد شكاه إلى مدير الإكمالية، لكن المدير تفهم وضعه وطلب من المراقب أن يخصص له ولأصدقائه طاولة خاصة وهو ما أفرح "أرسلان" ووصف هذه الحادثة بأنها أول مواجهة له مع "ميسيو ويل" وكانت رابحة، يقول في هذا الصدد: "تلك الحادثة، إن جاز لي أن أعتبرها كذلك، كانت أولى مواجهة لي مع ميسيو ويل، في بداية سنتي الأولى، حول طبيعة اللحوم التي أحجمت عن تناولها، حتى لا أقول أضربت عنها"[4].

ـ **السيد بنكَيكَي:** أشارت إليه الرواية في خانة التحاق "أرسلان" و"حاييم" بجامعة الجزائر العاصمة فهو صديق والد حاييم، وهو الذي استقبلهم في المطار فور وصولهم، وقد وصفه الراوي بأنه رجل خمسيني يظهر بزي أوروبي من القبعة إلى الحذاء، ويبدو عليه أثر الاحترام، ويتضح ذلك في قوله: "وكان رجلا خمسيني من معارف والد حاييم بزي أوروبي من القبعة إلى الحذاء. ثم حيانا مصافحا إيانا، مقدما نفسه باسم رامون بنكَيكَي"[5]، وقد تكفلت هذه الشخصية باستقبال وتوجيه الصديقين في أيامهم الأولى بالجامعة، وقد استضافهم في بيته موفراً لهم ما يحتاجونه من طعام، كما أنه حاول مساعدتهما في البحث عن سكن ـ عند سماسرة الكراء ـ يستقرا فيه ليتمكنا من مزاولة دراستهما، لكن محاولاتهما باءت بالفشل

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص 13.

[2]ـ المصدر نفسه، ص18.

[3]ـ المصدر نفسه، ص22.

[4]ـ المصدر نفسه، ص23.

[5]ـ المصدر نفسه، ص64.

ـ **سيلين شوڤالييه:** هي زميلة أرسلان، وتدرس معه في نفس المدرج، قال عنها أنها غالبا ما كانت تشاطره الرأي، وهي من الشبيبة التي تبنت أفكار الشيوعية، وكانت تميل إلى فكرة الإدماج، كان دائما ما يحاورها في أفكار عدة ويخالفها في النظرة إلى الاستعمار، لكن رغم الاختلاف بينهما الا أنها كانت مقربة لديه، يقول بخصوصها: "سيلين شوڤالييه نفسها، وهي غالبا ما شاطرتني رؤيتي إلى قضية التحرر، لأنها من الشبيبة الشيوعية"[1].

ـ **الصادق هجاس:** هو طالب في كلية الطب في الجامعة ولقد التقى به أرسلان في حادثة عنصرية تعرضوا لها من طرف الأقدام السوداء، ولقد تدخل في تلك الواقعة للتهدئة من أعصاب أرسلان ومنعه من الشجار معهم، يقول الراوي: "بيد أن غيره كان أمسك بي من ذراعي بقوة، ناطقا لي بلهجة عربية. (خليك منو). وهزني من مرفقي ذاك عنصري! أعرفه هو وجماعته"[2]، وأصبح منذ تلك اللحظة صديقا مقربا لأرسلان، فقد ارتاح له ولملامحه الهادئة، وأصبح يزوروه في عمارته، وقد كان مرجعا لأرسلان في قضية الدفاع عن حقوق الأهالي في الجامعة، فلقد كان يملك تجربة وخبرة في هذا المجال ويتضح ذلك في قوله: "ثم أعادها واستعرضَنا أنا وحسيبة، كأستاذ ينظر إلى طالبين أمامه وهو يقول: الآن يبدو أن المطروح لم يعد الما يمكن، بل الما يجب!"[3].

ـ **حسيبة وصال:** تعرف عليها أرسلان من خلال الصادق، وهي طالبة في قسم الفيزياء والكيمياء والبيولوجية، من حي القصبة وهي المدينة الأصلية للجزائر، وقد كانت مرجعا لأرسلان لمعرفة مدينة الجزائر وتاريخها، وقد ناضلت هذه الشخصية مع كل من الصادق وأرسلان من أجل الدفاع عن حقوق الأهالي داخل الجامعة، وهي بذلك تمثل الفتاة الجزائرية المثقفة التي حاربت من أجل حقها في التعليم في تلك الفترة العصيبة.

ـ **الجدة:** رغم عدم تعلُّم هذه الشخصية إلا أن الراوي كان يعتبرها مرجعا في أخبار الجزائر قديما، فقد كانت تفتح خياله وذهنه، وقد كانت بديلة له في هذا عن والدته التي قال عنها أن قلبها لا ينبض الا على وقع حياته، ويعبر عن ذلك قائلا: "فلطالما وجدت جدتي، فوق وسامتها الساحرة، ذات بلاغة فاتنة، لا تعرف إلا لخاصة الأهالي اللائي كن قبيل الاحتلال من الموسرات المتعلمات في الكتاتيب"[4]، فبفضل هذه الشخصية تلقى أرسلان تعليم جيدا إلى جانب أقرانه من اليهود والنصارى لأن والده طاوعها في أن ينتقل عندها، ويدرس في مدرسة المدينة هناك.

ـ **سي فراجي:** كان من أكبر المناضلين في حرب التحرير، وكان يتزعم اجتماعات الخلية السرية، وكان الراوي

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص116.

[2]ـ المصدر نفسه، ص80.

[3]ـ المصدر نفسه، ص86.

[4]ـ المصدر نفسه، ص107.

يشير إليه كلما تعلق الأمر بالاجتماعات، وهو بهذا يمثل الشخصية الوطنية القيادية والتي رهنت نفسها وكل ما تملك في سبيل تحرير الوطن من الاحتلال الفرنسي وأذنابه.

ـ **الضابط زياد:** وهو قيادي في صفوف جيش التحرير، تكرر ذكره كلما ذكرت عمليات لجيش التحرير أو خطط لذلك.

ـ **سي النضري:** والد زليخة النضري زوجة أرسلان، وهو فقيه ومعلم قرآن، كان يشار له تارة كمشارك في النضال السري، وتارة أخرى نسبة إلى ابنته زوجة الراوي، ولكن في العموم هو يمثل الشخصية الجزائرية الملتزمة.

ـ **كولدا رفائيل:** وهي صديقة حاييم التي أحبها، وكانت تذكر في الرواية غالبا بصفتها كذلك، إضافة إلى أنها كانت زميلة الصديقين في مرحلة الابتدائي، ومنافستها لزليخة النضري فيها، التي كانت تصل إلى حد العداء.

ج ـ الشخصيات المشاركة: وهي الشخصيات التي سجلت حضورا قليلا في الرواية.

ـ **ماكس باتيست:** ابن السيد ألفونسو باتيست وزميل أرسلان في المدرسة الإبتدائية "جول فيري أشير إليه في الرواية عندما أراد الراوي توضيح أنه وهو صديقه حاييم كانا من المتفوقين على عكس ابن السيد باتيست.

ـ **والد أرسلان:** اسمه حنيفي وهو قايد، رغم درجة القرابة بينه وبين الراوي إلا أن الرواية لم تعرج عليه إلا نادرا في مسائل متفرقة، وأبرز ما أخبر عنه الراوي أنه كان يتلقى ضغوطات من أجل جعل ابنه يتراجع عن الالتحاق بجيش التحرير الوطني.

ـ **الخادمة عونية:** هي خادمة بيت حنيفي، ولم يشر لها الراوي إلا نادرا وكان ذلك في يوم استضافته لزليخة في بيتهم غداة الاستقلال.

ـ **خوانا طوريس:** وهي حارسة العمارة التي كان يسكن فيها أرسلان وصديقه، وقد وصف العلاقة بينهما على أنها كانت يسودها الجفاء غالبا، كانت تلبس الأسود دائما حدادا على مقتل زوجها ووالدها على يد الجمهوريين في الحرب الأهلية الإسبانية.

ـ **فيليب هنري:** أستاذ أرسلان في قسم الفلسفة في الجامعة، وقد عرف بالنزاهة في التعامل إلا أن حاله بعد الحرب انقلبت وأصبح يكره الأهالي كما أشار الراوي.

ـ **السائق عثمان:** وهو السائق الخاص لعائلة حنيفي، لم يرد يذكره في الرواية إلا في مواضع نادرة.

د ـ الشخصيات الغائبة: وهي التي تكون حاضرة باسم وغائبة خلال أحداث الرواية، ولا تتفاعل معها وتتمثل في الرواية من خلال:

ـ **والدة أرسلان:** هي من أسرة شريفة كما قال الراوي، لم يكن لها دور فعال في الرواية حيث أتى ذكرها في

أحداث متفرقة دون حوار يذكر لها معه، حيث أنها لم تدخل في تفاصيل الرواية إلا ما ذكره من حبه لها ويتضح ذلك في: "الأمر الذي لم أكن أجده عند والدتي والتي علمتُ أن قلبها لا ينبض إلا على وقع حياتي"[1]، وهو يقصد في هذا المحاورات أخبار الماضي التي كانت جدته تفتح ذهنه بهم.

ـ **زملاء أرسلان في الابتدائي:** "آيت آكلي" ولد صانع القرداش، و"المهدي بوشجرة" ولد الإسكافي، فرغم أنهم كانوا زملاءه إلا أنه لم يأتي ذكرهم إلا في عبارة واحدة، يقول فيها: "إني أتذكر حاييم بنميمون ولد صائغ الفضة وآيت آكلي ولد صانع القرداش والمهدي بوشجرة ولد الإسكافي ..."[2]

ـ **والدي حاييم بنميمون:** وهما صائغ الفضة والخالة زهيرة كما يطلق عليها الراوي، لم يأتي ذكرهما إلا نادرا وفي مواضع قليلة.

ـ **السيد موريس:** شخصية من عائلات الأقدام السوداء، لكنه كان قريبا من الأهالي حتى قبل الاستقلال، وكان يدافع عن العمال خلافا لما كان يفعله نظراءه من الأوروبيين.

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص108.

[2]ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث: بنية الزمان والمكان في رواية أنا وحاييم

أولا: بنية الزمان:

ـ المفارقات الزمنية (الاسترجاعات ـ الاستباقات).

ـ تقنيات زمن السرد (تسريع السرد ـ إبطاء السرد)

ثانيا: بنية المكان:

ـ أماكن مفتوحة.

ـ أماكن مغلوقة.

الفصل الثالث: بنية الزمان والمكان في رواية أنا وحاييم

في هذا الفصل سنحاول الكشف عن بنية الزمن في رواية أنا وحاييم، وذلك من خلال دراسة المفارقات الزمنية وما فيها من استرجاعات واستباقات، ثم التطرق إلى تقنيات زمن السرد، وذلك بدراسة عنصري: تسريع السرد وإبطائه، ثم ذكر الأماكن المفتوحة والأماكن المغلوقة التي وردت في الرواية.

أولا: بنية الزمان في رواية أنا وحاييم

1 ـ المفارقات الزمنية: يقول حميد لحمداني "إن الراوي يولد مفارقات سردية والتي تكون تارة استرجاع وتارة أخرى استباق"[1].

أ ـ الاسترجاع: يعتبر الاسترجاع تقنية زمنية، يستطيع السارد من خلالها الرجوع بالذاكرة إلى الوراء سواء في الماضي القريب أو الماضي البعيد، ونجد حالات الاسترجاع كثيرة في رواية أنا وحاييم، بحيث لعبت دورا هاما في تشكل الأحداث داخل الرواية، ونميز نوعين من الاسترجاع، داخلي وخارجي وفيما يلي سنحاول تقديم نماذج عن هذه الاسترجاعات.

ـ الاسترجاع الداخلي: وهو استعادة لأحداث وقعت ضمن زمن الحكاية (داخل الرواية) أي بعد نقطة بداية الرواية، وقد استعملها الحبيب السايح في رواية أنا وحاييم للتذكير ببعض الأحداث، ولتسليط الضوء على بعض الشخصيات ومن بين الاسترجاعات الداخلية التي جاءت في الرواية:

"وقفت على الرصيف المقابل، وقفة لم أقفها من قبل محزون الخاطر، أمام دار حاييم بنميمون تبدو ساكنة مثل كائنٍ تَحجَّر ..."[2]، نلاحظ أن السارد من خلال هذا الاسترجاع يستعيد صورة منزل صديقة بعد غياب أهله عنه، ويقف أمامه وقفة حزن وحنين إلى أيام ولت.

كما نجد استرجاعا داخليا آخر وذلك عندا استرجع الراوي لحظة تآمره رفقة صديقه على زميلهم في المدرسة والذي بسببه تمت الشكوى منهما، "... وفي انتظار أن تجف ملابسنا، استعدنا ما كنا نتآمر به على ماكس باتيست، زميلنا في المدرسة، الأمر الذي بسببه شكانا إلى أبيه ألفونسو، مُدّعيا أننا استهزأنا به مرة في ساحة المدرسة"[3]. ويضيف أيضا بقوله: "يوم زار السيد ألفونسو باتيست مدير المدرسة وطلب منه توضيحا، استدعي المعلم مسيو سانشيز، وسُئل عن الأمر فنفى بحزم. غير أن السيد ألفونسو باتيست لم يقتنع. وهدد بأنه سيقطع عن المدرسة مساهماته الخيرية إذا لم يتخذ إجراء ردعي في حق التلميذين المذنبين، أرسلان ابن القايد

[1]ـ حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص74.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص11.

[3]ـ المصدر نفسه، ص16.

وحاييم ابن اليهودي"[1]، فمن خلال قوله هذا فإنه يستذكر شخصيه والد زميلهم في المدرسة السيد ألفونسو باتيست وبعض الجوانب من حياته.

ومن أمثلة الاسترجاع الداخلي في الرواية حين استرجع السارد سنته الأولى في الطور الثانوي رفقة صديقه حاييم، والتي يقول عنها أنه يضحك كلما تذكرها ويستعيد اللحظة كأنها وقعت الآن، "إني أضحك في نفسي كلما أعادني الحديث، كما الآن، إلى تلك السنة الأولى من الطور الثانوي، السنة التي ما إن انقضت أسابيعها الأولى حتى صرت أنظر إلى غيري، في الطور الإكمالي، بالعين نفسها التي كان ينظر بها إلينا، أنا وحاييم وزملائنا، من كانوا يسبقوننا! فقد أضحينا مثلهم نرتدي من الملابس ما صار يُظهرنا قريبين من الرجال"[2].

كما نجد استرجاعا داخليا آخر، يستذكر السارد من خلاله حياة الترف التي كان يعيشها والحالة المزرية التي يعيشها الأطفال مقارنة بحاله، "وما إن حل المساء حتى، وجدتني محاطا بعناية أميرية. وإذ أذكر هذا أتذكر البؤس الأسود الذي كان ينهش الأطفال من أبناء الأهالي في تلك السنين"[3] فرغم حاله الميسور إلا أنه لم ينسى حالة الأطفال من أبناء الأهالي المزرية ومعاناتهم.

ومن الأمثلة الواردة في الرواية، استرجاع السارد لصفات رفيقه الجديد الصادق الذي التقى به في الجامعة، "... بدا لي فجأة أننا لم نعد وحيدين، أنا وحاييم، فقد وجدت الصادق، ذا جاذبية لافتة، لقامته الطويلة ووجهه الجميل المثير للغبطة وصوته العميق، إذ دعاني: خلينا نلتقي!"[4].

كما يواصل الراوي استذكاراته حين يسترجع شخصية حارسة العمارة، ليسرد بعض الجوانب من حياتها قائلا: "خْوانا طوريس، حارسة العمارة، نفسها صارت، إذ ترفع إلي عينيها حين أحييها، تلاحقني بنظرتها الخالية من أي تعبير إلى أن أضع قدمي خارج الباب أو على الدرجة الأولى من السلم"[5]، ثم يواصل الحديث عنها وعن شكل لباسها ونمط حياتها "... فقد كان يثيرني منها أنها لا تلبس إلا الأسود ولا تنزع عن رأسها الفولارة السوداء أبداً، لذلك كنت تعجبت لحاييم منها يوما فأجابني، وكان قد علم بذلك من أحد جيراننا الإسبان صاحب مخبزة الحي، أنها لم تخرج من حدادها الدائم الذي اتخذت منه صياما على مقتل زوجها ووالدها على يد الجمهوريين خلال الحرب الأهلية الإسبانية"[6].

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص17.

[2]ـ المصدر نفسه، ص43.

[3]ـ المصدر نفسه، ص54.

[4]ـ المصدر نفسه، ص81.

[5]ـ المصدر نفسه، ص114.

[6]ـ المصدر نفسه، ص114.

ومن استرجاعات أرسلان الماضية والواقعة داخل إطار زمن الحكاية الأول قوله: "وقفت للحظات أمام صورتَي والديّ، حين دخلت المكتبة في هذه الليلة، فأحسست في جسدي كله مثل دبيب النمل لِما كان يسكن قلبي في الجبل من فزع وخوفٍ عليهما من تصفية أحدهما أو هما معا في خضم حربٍ كانت قد ازدادت، في عامها السادس ضراوة وشدة، مخلفة الموت والخراب والحزن اليومي"[1]، وهنا يتوقف السارد ليعود بنا إلى لحظات وقوفِه أمام صورة والديه، والخوف الذي انتابه على حياتهما أثناء حرب التحرير، وهو في الجبل بعيد عنهما.

ـ **الاسترجاع الخارجي:** وهو استعادة لأحداث تعود إلى ما قبل الحكي (قبل بداية الرواية) أي الارتداد نحو الخلف في الزمن، وقد وردت الاسترجاعات الخارجية بكثرة في رواية أنا وحاييم ومن بينها نجد:

"تقدمتُ وعند الباب الصامت ذاك الذي رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاما كي نتوجه معا لأول مرة إلى مدرسة جول فيرّي..."[2]، حيث بدأ بها الرواي سرده لبعض الجوانب من حياته مسترجعا اللحظة التي كان فيها رفقة صديقه حاييم تلميذين لأول مرة في مدرسة جول فيرّي.

وفي مقطع آخر يعود بنا ثلاث سنوات إلى الخلف قائلا: " هنا كنت قبل ثلاثة أعوام شربت مع زليخة قهوة كان حاييم قدمها لنا بعد نجاته من السحل صباح يوم الاستقلال"[3]، فالرواي هنا عاد بنا إلى لحظة لقائه مع زليخة في بيت حاييم بعد نجاته قبل ثلاث سنوات من حادثة السحل.

كما نجد استرجاعا خارجيا آخر يعود بنا أرسلان من خلاله إلى أيام طفولته قائلا: "عامذاك، كنا سنبلغ الثانية عشر. وعامها، كانت الحرب العالمية الثانية ستضع أوزارها بعد سنة"[4]، وهنا فتح لنا السارد نافذة من مرحلة أيام صباه قبل سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وفي مثال آخر يقول: " قبل سنتين كما أذكر في هذه الليلة كمن إذا دخلت مدرسة جول فيري لأتفقد حاجاتها من الحطب للشتاء القادم من السنة الدراسية الثانية بعد الاستقلال"[5]، وهنا يسترجع أرسلان الليلة التي دخل فيها مدرسته الابتدائية لتفقد حاجاتها من الحطب شتاء غداة السنة الثانية من الاستقلال.

يواصل الراوي استرجاعاته الخارجية، حيث يعود بنا إلى أيام الثانوية، لحظة الإعلان عن نتائج البكالوريا وما صاحبها من أفعال، فيقول: "كانت ثلاثة أسابيع من الانتظار قد انقضت لما تم الإعلان عن نتائج الباكالوريا،

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص190.

[2]ـ المصدر نفسه، ص11.

[3]ـ المصدر نفسه، ص13.

[4]ـ المصدر نفسه، ص18.

[5]ـ المصدر نفسه، ص33.

فتسابقنا من أركان الساحة كلها، نحو سبورة نشر قوائم الفائزين. وتزاحمنا. فتعالت بيننا أصوات الابتهاج..."[1].

ومن الاسترجاعات الخارجية التي وردت في الرواية قوله "في مساء يوم الجمعة الأخيرة من شهر أكتوبر، رجعت، على غير العادة، متأخراً إلى الأستوديو. فسألني حاييم السبب"، يسترجع أرسلان من خلال هذا المقطع تاريخ إحدى الليالي، والتي فيها عاد على غير عادته متأخراً إلى البيت.

وفي استرجاع آخر يقول: "كذلك أخبرني في بيته عن يوم الأحد، الأول من جويلية سنة ألف وتسعمائة واثنتين وستين. وقال: ((كان المشهد عظيما، استثنائيا وسرياليا!))"[2]، فيعود بنا الراوي إلى أحداث تعود إلى سنة 1962 مستذكرا بذلك ما قاله له حاييم آنذاك عن حدث عظيم من تاريخ الجزائر، وهو يوم التصويت بنعم أو لا في الاستفتاء من أجل استقلال الجزائر.

وبهذا يمكننا القول أن الاسترجاعات بنوعيها قد ساهمت في البناء العام لرواية أنا وحاييم، وذلك من خلال مساهمتها في تشكيل أحداث الرواية.

ب ـ الاستباق: تصوير مستقبلي استشرافي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد، وقد ورد الاستباق في رواية أنا وحاييم بشكليه: الاستباق التمهيدي والاستباق الإعلاني، فمرة يوردها الراوي على لسانه وفي بعض الأحيان على ألسنة شخصيات الرواية ومن بين أمثلته نجد:

ـ الاستباق كتمهيد: والهدف منه هو التنبؤ والتطلع بما هو محتمل الحدوث ويتمثل في إيماءات وإشارات يقوم بها الراوي يمهد بها لما سيحدث لاحقا، ومن بين الاستباقات التمهيدية التي ردت في رواية أنا وحاييم نذكر:

"وكان ذلك إحساسي كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودي"[3]، فمن خلال هذا السؤال، يتبين لنا أن الراوي يستعد للبدء في سرد القصة، وقد استعمل السؤال كتمهيد لما هو آت من أحداث سيفصلها فيما بعد.

وفي مقطع آخر يواصل أرسلان طرح الأسئلة على نفسه مستبقا بها أحداثا يتوقع أنها ستحدث، حيث يقول: "ولكن لماذا كنت سأشعر بالغثيان لو أن المدير طلب مني أن أخصص له بعض تلك اللحوم بأسمائها"[4]، لمح السارد من خلال هذا السؤال إلى ما سيحدث لو طلب منه المدير الفرنسي فعل شيء غير معتاد عليه.

---

[1]ـ المصدر نفسه، ص47ـ 48.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص213.

[3]ـ المصدر نفسه، ص14.

[4]ـ المصدر نفسه، ص 22 ـ 23.

ونجد استباقا تمهيديا آخر يقول: "لابد من القول إني توقعت، مذ ركبت القطار، أن أجد مدينة الجزائر على مثالية اجتماعية وإنسانية أكثر مما هي عليه مدينتا سعيدة ومعسكر"[1]، وهنا نلاحظ أن السارد استبق الأحداث من خلال تمهيد تصوري إلى حال الجزائر قبل أن يراها.

كما ورد في الرواية استباق تمهيدي على لسان حسيبة، إحدى شخصيات الرواية وهي تسأل، دون طلب الإجابة فتقول: "كم ستكون الطريق شاقة من أجل أن نتخلص نحن وأهالينا مما نحن فيه من ظلم وقهر!"[2]، وتضيف أيضا: "ولكن كم ستكون النهاية باهرةً نهاية الوصول!"[3] وفي هذين المقطعين استباقين تمهيديين لمشقة طريق الوصول إلى الحرية ونتائجها عند نهاية الطريق.

وفي مثال آخر يقول: "ولكن زليخة، مثلما يحدث لأشد النساء عفة ومقاومة لرغباتهن الجسدية، كانت ذات ليلة شتوية قاسية البرودة لشعورها بأن الموت قد يخطف أحدنا في أي لحظة قبل نهاية الحرب فلا نسعد بلقائنا المأمول"[4]، وفي هذا المقطع يستبق موته أو موت زليخة قبل نهاية الحرب دونما لقاء بينهما.

وفي استباق تمهيدي آخر يقول: "لدي حدس أنك ستقرأ هذا يوما!"[5]، وهنا استشراف لما قد يحصل في وقت لاحق.

- **الاستباق كإعلان:** وهو التصريح عن مجموعة من الأحداث التي سيأتي سردها في وقت لاحق، ومما ورد في رواية أنا وحاييم من استباقات إعلانية، ما استهل به الراوي روايته، حيث يقول:

"لنهاية عطلتي الوشيكة، وقبل أيام قليلة من استئناف عملي بدار المعلمين، بداية الأسبوع الثالث من شهر سبتمبر"[6]، فقد صرح لنا الحبيب السايح من خلال هذا المقطع بحدثين سيحدثان لاحقا وهما: قرب نهاية عطلته وتاريخ استئناف عمله.

ومن بين العبارات التي تحمل عدة استباقات إعلانية في الرواية قوله: "فما كنت أعرفه، شأني شأن حاييم، وكنا مطمئنين إليه، أن ألفونسو باتيست لن يشكونا مرة أخرى إلى مدير مدرسة جول فيرّي، لأننا ما كنا سنعود إليها نهائيا، مثل ابنه ماكس لإعادته سنته بعد أن فزنا في الدخول إلى السنة السادسة"، فأرسلان هنا يصرح مطمئنا عدم شكوى ألفونسو باتيست منهما لمدير مدرستهما، لأنهما قد أتما الدراسة في تلك المدرسة، وانتقلا للمستوى التالي في مدرسة أخرى.

---

[1]ـ المصدر نفسه، ص73.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص96.

[3]ـ المصدر نفسه، ص96.

[4]ـ المصدر نفسه، ص179.

[5]ـ المصدر نفسه، ص198.

[6]ـ المصدر نفسه، ص11.

وفي استباق إعلاني آخر، يصرح فيه بما سيفعله بعد ساعة قائلا: "... قبل أن ألتحق بزليخة في السرير بعد ساعة..."[1].

وفي حديث أرسلان مع حاييم استباق تصريحي لما سيحدث في المستقبل، "أما أنت فحققت أحد حلميك. فبعد ست سنين ستصبح صيدليا!"[2].

وفي مقطع آخر يقول: "زليخة، خلفي الآن في غرفة النوم... لم تكن تعلم أن صعودها إلى الجبل بعد عامين من صعودي لتلتحق بالفرقة التي كنت انتميت إليها شكل حدثا استثنائيا"[3]، وفي هذا المقطع يستبق الحديث عن التحاق زوجته زليخة بصفوف الثورة، وهو حدث سيأتي ذكره لاحقا.

2 ـ تقنيات زمن السرد (المدة): إن حركة السرد أو زمن السرد ترتكز على "الوتيرة السريعة أو البطيئة التي يتخذها الراوي في مباشرة الأحداث، وذلك عبر مظهريها الأساسيين: تسريع السرد الذي يشمل تقنيتي الخلاصة والحذف، حيث مقطع صغير من الخطاب يغطي فترة زمنية طويلة من القصة، ثم تعطيل أو إبطاء السرد، ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة، حيث مقطع طويل من الخطاب يقابل فترة قصصية ضئيلة"[4].

أ ـ تسريع السرد: وتلجأ إليه الرواية للتخلص من تفاصيل لا يمثل حضورها فاعلا يخدم بنية النص ويتجسد من خلال:

ـ الخلاصة: وهي أن يسرد الكاتب أحداث ووقائع جرت في مدة زمنية طويلة (ساعات أو أشهر أو سنوات)، في بعض الصفحات أو الأسطر دون التعرض للتفاصيل، ومما ورد من تلخيصات في رواية أنا وحاييم نذكر ما يلي:

"استمرت العناية الفائقة بي لأيام الاحتفال الثلاثة التي كان كل شيء فيها، من الطعام إلى السهر إلى الغناء والنقر في جناح النساء"[5]، وهنا لخّص أجواء احتفال دام ثلاثة أيام في فقرة من بضعة أسطر.

وفي مقطع آخر تجاوز من خلاله السارد ثلاثة أسابيع وهو يبحث رفقة صديقه حاييم عن مكان يكتريانه للإقامة فيه، "لذلك في الغد، ولمدة ثلاثة أسابيع، رحنا نبحث من جانبنا عن أستوديو، بمطبخ وحمام ومرحاض، قريب من الجامعة"[6]، وهنا لخص السارد أحداث جرت في ثلاثة أسابيع في فقرة من سطرين.

---

[1]ـ المصدر نفسه، ص26.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص69.

[3]ـ المصدر نفسه، 176.

[4] ـ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص144.

[5]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص54.

[6]ـ المصدر نفسه، 73.

كما قام السارد باسترجاع أهم ذكريات حياته، وبعض الأماكن التي تَعَوَّد الارتياد عليها، ولخصها في بضعة أسطر قائلا: "سنوات الجامعة الأربع ونادي الطلبة وحي القصبة واللقاءات والاجتماعات ولحظة فزعي ليلة هروبي قبل وصول البوليس وكل الذكريات الصغيرة انثالت هي إذ نظرت إلى وجه حسيبة وصّال الجميل مضرجا بالدم"[1]، وهي محطات من حياة أرسلان تمت في سنوات، أجملها في أسطر فقط.

ـ **الحذف:** هو قفز زمني وذلك بإسقاط مدة روائية طويلة أو قصيرة من غير إشارة إلى ما وقع فيها من حوادث ووقائع، ومن أمثلة الحذف التي وجدناها في رواية أنا وحاييم ما يلي:

"ظل حاييم خلال الأعوام التي استمر فيها القتال ينتظر بثقة أن تقع الواقعة الفاصلة بين مرحلتين وتاريخين"[2]، وهنا أسقط السارد فترة زمنية تقدر بعدة أعوام.

وفي مثال آخر يقول: "حاييم. برغم هول هذه الحرب أشعر بالسعادة لتقاسمنا السنين الأربع التي قضيناها، بحلوها ومرها في هذه المدينة الغريبة الجميلة والخطيرة"[3]، وقد تخطي السارد من خلال هذا المقطع سرد أحداث عمرها أربع سنوات.

ب ـ إبطاء السرد: يتم تعطيل حركة السرد وإيقاف نموها، وقد استعمل الحبيب السايح تقنية تعطيل السرد بكثرة في رواية أنا وحاييم وذلك من خلال سرد المشاهد الحوارية بين الشخصيات أو وصف بعض الأماكن.

ـ **المشهد أو الحوار:** يروي فيه الكاتب الاحداث المهمة بإسهاب، حيث يقدم الشخصيات في حالة حوار مباشر، وذلك للتعبير عن الآراء والأفكار التي تختلجها نفسية الشخصيات، ومن الحوارات التي وردت في رواية "أنا وحاييم"، الحوار الذي جرى بين أرسلان حنيفي وصديقه حاييم بنميمون والصادق هجاس الذي تعرفا عليه بعد صدام لفظي في كافتيريا الجامعة مع أحد الطلبة الممجدين للاستعمار:

"لا أدري اليوم أي شيء كان سيسفر عنه الاشتباك بيننا لو أنه وقع. فقد انفلتُّ من قبضة حاييم الذي طوقني مانعا إياي من التقدم. بيد أن غيره كان أمسك بي من ذراعي بقوة، ناطقا لي بلهجة عربية.

((خليك منّو!)).

وهزني من مرفقي.

((ذاك عنصري! أعرفه هو وجماعته.

ـ إنهم يحسبون أنفسهم أرفع منا درجة))، قلت بغضب.

((سترى أنهم لا يفوّتون فرصة لاستفزازنا متى أتيح لهم ذلك.

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص186.

[2]ـ المصدر نفسه، ص 213.

[3]ـ المصدر نفسه، ص133.

كراهيتهم التي يكشفون عنها بدائية.

ـ وأكثر من ذلك مدّعية))، قال مبتسما.

((الصادق هجّاس. كلية الطب.

ـ أرسلان حنيفي. قسم الفلسفة)).

وأدرت وجهي.

((وهذا صديقي. حاييم بنميمون)).

فتصافحا.

((قسم الصيدلة.

ـ نحن جيران، إذاً))"[1].

وفي حوار آخر يدور بين أرسلان وسي فراجي حين سأله عن صديقه حاييم خلال اجتماع الخلية السرية لحرب التحرير، يطلق فيه السارد العنان للشخصيات للتعبير عن آرائها:

" أما أنا فيمكنك مثلما سمعت من قبل، أن تناديني فَراجي. بدون سي!

ـ لا يمكن يا سي فراجي!

فحرك رأسه، متقبلا. وسألني عن حاييم.

((ما رأيك فيه، لأنه صديقك؟

ـ ولكننا لا نطمئن إلى علاقته مع كولدا.

ـ أعرف حاييم جيدا. فلا تشكُّوا في خيارته حين يتعلق الأمر بوطنيته.

ـ تكفينا شهادتك، إذاً)).

وذكرني.

((مبلغ اشتراكك المتفق عليه تقدمه لسي النضري))[2].

ـ الوقفة: يتوقف الزمن وينصرف الكاتب إلى وصف هادئ لمناظر الطبيعة والاشياء، وقد استعملها الحبيب السايح بكثرة في رواية "أنا وحاييم"، ويتجلى ذلك من خلال وصفه للشخصيات أو الأماكن، فقد وقف عند شخصية الأم، واصفاً لباسها وشكل شعرها قائلا:

"حين وصلنا المزرعة دخلت على أمي في حجرتها فقامت لي في عباءتها الحريرية البيضاء، ممسكة شعرها الأسود بعصابة مذهّبة، مشرقة الوجه الأبيض الندي"[1].

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص80 ـ 81.

[2]ـ المصدر نفسه، ص136.

ومن أمثلة الوقفة في الرواية قوله: "راح حاييم، على هدير محرك الحافلة وتداخل أصوات المسافرين، يصف لي، كأنه رحّالة، مرتفعاتِ جيريقيلْ التي تبدو فيها السماء أقرب إلى الأرض من غيرها في أي مكان آخر، والسهوبَ ومساحاتها الشاسعة غير المحدودة بنظر، ذات الغطاء النباتي المدهش الممتد شيحا وحَلْفاء كأنه محيط أخضر! وقطعانَ الضأن في السهول لدى غدوها ورواحها مثل كتائب متراصة[2]"، ومن خلال هذا المقطع استعمل السارد الوقفة ليصف لنا ـ وليعرّفنا على ـ المناظر الطبيعية الموجودة في مدينة سعيدة.

ثانيا: بنية المكان في رواية أنا وحاييم

للمكان أهمية بالغة في الرواية، فهو الجوهر والمحتوى وقد تباينت الأمكنة في رواية أنا وحاييم بين مغلوقة ومفتوحة، كل حسب دلالاته وأهميته داخل المتن الروائي، ذلك أن المكان المفتوح يمثل حيز تنقل وتحرك الشخصيات، في حين يعد المكان المغلق فضاء ثباتها واستقرارها:

1 ـ المكان المفتوح: وهو الذي تتخذ منه الرواية إطاراً لأحداثها، بحيث تسمح بالاتصال مع الآخرين وذلك بالانتقال من مكان لآخر، كما أن المكان الفتوح يعبر عن تلك الأماكن التي تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر وتزخر بالحركة والفوضى، ومن الأمكنة المفتوحة التي ذكرت في الرواية:

ـ المدينة: وتعتبر من بين الأماكن المفتوحة التي ارتكز عليها السرد ودرات فيها أحداث ومجريات الرواية، وهي التي يقضي فيها الإنسان أشغاله ويمارس فيها نشاطاته، وهي المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات وتقع فيه أغلب الاحداث، وقد تباينت المدن في الرواية بين **مدينة سعيدة** وهي التي أخذت حصة الأسد، ويعزو ذلك إلى أهمية الفترة التي قضاها فيها رفقة صديقه حاييم وهي مرحلة الطفولة، وما فيها من حركة ونشاط، ثم انتقل السارد ورفيقه إلى **مدينة معسكر** بغرض الدراسة في المرحلة الثانوية، حيث لم يستفض في وصفها، رغم الحرية التي كان يتنعم بها، بل اقتصر فيها على ذكر أيام الداخلية ومعاناتها، وهو ما فرضته عليه طبيعة المدرسة هناك والبعد عن المنزل، ويعبّر عن ذلك قائلا: "فقد شعرت، كما الآن، منذ ليلتي الأولى، في فترة نقاهة، فرحت أعوض عن رضوض الخيبة بما أستعيده من أعوام طفولتي مع حاييم وفي ما تلا تلك الطفولة منذ أن كنا، بحلول الدخول المدرسي المصادف لبداية الخريف، انتقلنا إلى ثانوية معسكر... فمدينة سعيدة، بوابة الصحراء كما تسمى لم يكن متاحا فيها خلال تلك السنين تعليم إكمالي وثانوي"[3]، ومن المدن التي ذكرت في الرواية، **مدينة الجزائر** وهي التي حظيت بوصف زاخر بعد مدينة سعيدة لما فيها من حيوية ونشاط. ذاك أنها احتوت فترة انفتاحه على العالم من خلال دراسته الجامعية رفقة صديقه، وكذا تعرفه على أصدقاء جدد

---

[1]ـ المصدر نفسه ص53.

[2]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص40.

[3]ـ المصدر نفسه، ص19.

هناك، فما انفك في غير ما موقع يصف جمال وسحر الجزائر، حيث يقول: "... على أناقة أمشي في الجزائر، مدينة الأنوار والبذخ واللذة ببناياتها وشوارعها وساحاتها وحدائقها وقاعاتها ومتاجرها والحياة الصاخبة فيها"[1]، ومن المدن التي أتى ذكرها في الرواية أيضا، **مدينة وهران** والتي سافر إليها أرسلان رفقة زوجته زليخة، وهي آخر المدن التي استقر فيها وانتهى فيها سرد الأحداث في الرواية، "غادرت إلى وهران. لماذا وهران، المدينة الكوسموبوليتية المرمية على ضفة المتوسط الجنوبية التي لا يقاوم سحرها وإغواؤها؟ ..."[2]، وقد انتقل أرسلان إلى وهران بعد طلب من وزارة الارشاد القومي ليشغل منصب أستاذ في دار المعلمين هناك "تأثُّرنا بما كانت تفرضه ضرورة الانتقال إلى مدينة وهران من استعداد للرحيل وتحضير لمستلزماته قبل موعد الدخول المدرسي المقرر للأسبوع الأخير من شهر سبتمبر"[3].

ـ **الشارع:** وهو القلب النابض للمدينة ومن أبرز الأماكن التي تتيح للشخصيات حرية الحركة والتنقل من مكان لآخر، ومن الشوارع التي ورد ذكرها في الرواية شارع "جيريڤيل" الذي مرا به أثناء هروبهما من السيد ألفونسو عائدين إلى منازلهم، "في طريق عودتنا إلى الدرب، وقد عبرنا السكة الحديدية، دخلنا في شارع جيريڤيل الذي كان كبقية الشوارع الأخرى يكاد يخلو من الحركة في تلك الظهيرة القائظة"[4]، وفي طريقه رفقة حاييم إلى منزليهما، "ثم يدا في يد، انعطفنا نحو الدرب، شرق دار البلدية ذات السطح الأردوازي الأسود، عن يميننا فندق الشرق في نهاية شارع إيزلي"[5]، وفي مقطع آخر يذكر اسم الشارع الذي دخلا إلى القهوة المتواجدة به، "وفي أول مقهى دخلناه في شارع ميصّوني، فقدمنا طلبيتنا للنادل الذي ظهر أنه من الأهالي"[6].

ـ **الجامعة:** وهي ملتقى لمختلف الأجناس والأعراف، يكمل فيه الطالب دراساته العليا، وهي مصدر للثقافة واكتساب العلم والانفتاح نحو العالم الخارجي، "ساقنا حديثنا إلى ما تتيحه الجامعة من انعتاق وانفتاح، بما تخلقه من طموح وتنمية من علاقات"[7]، ويواصل قوله: "إن الجامعة في عصرنا، لما يجري من تحولات اجتماعية وثقافية وفلسفية، تغدو الفضاء الوحيد الذي يمكن لنا أن نتحرر فيه من أي رقيب!"[8]، فالجامعة فضاء يمتاز بالحرية الشخصية وفيها كلٌّ مسؤول عن نفسه وعن تصرفاته.

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص56.

[2]ـ المصدر نفسه، ص137.

[3]ـ المصدر نفسه، ص302.

[4]ـ المصدر نفسه، ص15.

[5]ـ المصدر نفسه، ص16.

[6]ـ المصدر نفسه، ص69.

[7]ـ المصدر نفسه، ص70.

[8]ـ المصدر نفسه، ص70.

ـ **المطعم:** وهو المكان الذي يقصده العديد من أصناف البشر لتناول مختلف الوجبات وتبادل أطراف الحديث فيما بينهم، وهو ما يتجسد في قوله: "وعندما دخلنا المطعم الذي بدا يقصده خليط من الأهالي ومن غيرهم من عمال الميناء والحرفيين والموظفين، فعلقنا معاطفنا على مشاجب حائطية وجلسنا متقابلين اثنين اثنين ثم قدمنا طليبة غذائنا التي تضمنت شُربة فْريك وسمك سردين وصودا كما اقترح الصادق"[1].

ـ **المقهى:** المكان والمتنزه الذي يجتمع فيه سكان الحي لتبادل أطراف الحديث، ويتخلل ذلك احتساء كوب قهوة أو شاي... كما يعتبر مكانا للراحة والهروب من المشاكل النفسية، وهو المكان الذي يلتقي فيه الأصدقاء ويتواعد فيه الأحبة والعشاق، "وأخذتني من يدي فخرجنا. وفي أول مقهى، بالشارع نفسه، بعد أن وُضع بيننا ما طلبنا، سألتها ماذا تفعل في وهران. ابتسمت. ثم قلصت ما بين حاجبيها الأشقرين..."[2]، وفي موضع آخر آخر يقول: "اقتنينا نسخة واحدة من خمسة عناوين. ثم دخلنا أول مقهى في طريقنا. حتى النادل نفسه، حين أخذ طلبيتنا كما لما وضعها أمامنا، بدا منغلق الوجه. فلا أحد من الزبائن، كما عاينت ذلك، كان يُرى وهو لا يقرأ جريدة أو لا يتحدث بعصبية"[3]، وهو أيضا مكان لتحليل مختلف القضايا ومعرفة آخر المستجدات.

ـ **الجبل:** يعد الجبل أحد الأمكنة المفتوحة التي تساعد على ممارسة النشاط الثوري بكل حرة، فهو مكان يحمل دلالات الحرية والبطولة وهو معقل الثورة الجزائرية والقاعدة التي ينطلق منها الثوار، وقد التحق أرسلان بالجبل حبا في الدفاع عن الوطن، من أجل المساهمة في تحريره من وطأة الاستعمار، "إن كنت التحقت بالجبل، اختبارا لا إكراها، لخوض حرب تحرير لا لصنع بطولة"[4].

2 ـ الأماكن المغلقة: إن الحديث عن الأماكن المغلقة "هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت والقصور، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدراً للخوف"[5]، ومن الأمكنة المغلقة التي وردت في الرواية:

ـ **المدرسة:** وهي من الأماكن المغلقة، ونقصد بها في أولى مراحل التعلم المدرسة الابتدائية، والتي يقضي فيها التلميذ ست سنوات يتعلم فيها القراءة والكتابة والإملاء والحساب، وقد درس أرسلان وحاييم بمدرسة جول

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص98. 99.

[2]ـ المصدر نفسه، ص 138.

[3]ـ المصدر نفسه، ص 124.

[4]ـ المصدر نفسه، ص 175.

[5]ـ علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000، 2000، ص166.

فيرّي بسعيدة، عاشا فيها أيام ببهجتها ومكرها، وفتحت لهم من خلالها نوافذ أمل نحو مستقبلهما، فحيثما مرّا بها إلا وتذكرا أيامهما فيها، "ظهرت لنا، عن شمالنا مدرسة جول فيرّي. فتوقفنا، مولين وجهينا إليها صامتين، كما لأصوات كانت، لستة أعوام تملأها ابتهاجا وأسفا ومكرا"[1]، كما يشمل اسم المدرسة، المرحلة الإكمالية والثانوية أيضا، وهما المرحتان اللتان أكملا دراستهما فيهما بمدينة معسكر حيث أخذا حيزا واسعا من السرد في الرواية وذلك بذكره لكل ما عايشاه فيهما من شدة رقابة وتقييد الحارس "مسيو ويل" في الداخلية، ومعاناتهما من العنصرية، كل ذلك اعتبراه حافزا لهما للنجاح والتفوق، ويعبر عن ذلك بقوله: وما إن انقضت فترة التكيف تلك حتى وجدتني أشعر أني أتعرض أكثر من غيري من التلاميذ، لمراقبة الحارس مسيو ويل لومْباردو الدائمة"[2] ويضيف أيضا "لعله هو ذاك الشعور الذي أدخلني، كما حاييمن في تنافس، كل شيء فيه كان شديدا مع ثلاثة وعشرين زميلا لنا من الأوروبيين... وكانو لاسمينا قد رتبونا بقوة أحكامهم المسبقة ضمن خانة الانديجان"[3].

ـ **البيت:** وهو المكان الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يتصف فيه بحرية تامة، وهو غالبا ما يكون مصدرا للراحة والأمن، وهو " ومن أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا، فالبيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول"[4]. كما تعددت تسمياته في الرواية كالمنزل والشقة وهي كلها كلمات لها نفس المعنى، توفر شروط الراحة والاستقرار وتجمع أفراد العائلة،

ـ **الحانة:** وهو مكان للشرب والهروب الكلي من الواقع المعاش يقصدها الإنسان المدمن على الشرب لإفراغ همومه وكل ما يختلجه من آلام ومشاكل نفسية، كما يلجأ إليها في حالة الفرح بغرض الاحتفال وهو ما ورد في الرواية في قوله: ودخلنا أول حانة في طريق صعلكتنا الأولى وشربنا أقداحا. ولكننا كسرنا كأسينا إذ نقرناهما بقوة، نخبَ نجاحنا"[5]، وهي أول مرة يدخلان فيها الحانة ويشربان فيها احتفالا بنجاحهما في الباكالوريا.

ـ **الصيدلية:** وهو المكان الذي يلجأ إليه المرضى بهدف أخذ العلاج، وفي الرواية قد حل محل العيادة أيضا لجرحى جنود الثورة، وهو الدور الذي كان حاييم يقوم به بتضميد بعض الجروح، وإمداد الثوار بمختلف الأدوية والمراهم، ويعبر عن ذلك حين يقول: "ولكنك هنا في صيدليتك تقدم ما يسند السلاح. ولولاك ما كانت

---

[1]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص16.

[2]ـ المصدر نفسه، ص22.

[3]ـ المصدر نفسه، ص24.

[4]ـ غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص36.

[5]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، 49.

زليخة لتنجو في تلك الليلة"[1]. وفي نفس الصدد يقول: "من يقول إن هذه الصيدلية آوت زليخة! ومنها أيضا خرجت تلك الكميات من الأدوية نحو الجبل"[2].

ـ **الغرفة:** مكان تقيم فيه الشخصيات ويرمز إلى الحياة الداخلية والحميمية ويتمثل ذلك في قوله: "زليخة، خلفي الآن في غرفة النوم بين يديها كتاب تقرأه ككل ليلة"[3]، وفي مقطع آخر يضيف: "والتحقت بغرفة النوم فاستلقيت في السرير خائر القوى أحس مطارق تدق في رأسي وأنيابا تقطع مفاصلي"[4]، كما تكون الغرفة حُضناً للجلسات العائلية لتناول الطعام أو لتبادل أطراف الحديث

"... أثرْت بعضه لجدتي لالة ربيعة بنت الفضيل وأنا أتناول معها، على الزربية في غرفة الجلوس ببيتها في الدرب"[5].

ـ **المقبرة:** وهي مأوى الانسان الأخير، فيها يتحدد مصير كل فرد حسب عمله في الدنيا، وهي المكان الذي يتواجد فيه ممن فقدوا من الأهل والأحباب، كما يعتبر أضيق الأماكن المغلقة وأخوفها، وقد رسم لنا السارد صورة عن تغسيل وتكفين أم حاييم، ثم وضعها في مضجعها الأخير حين يقول، "أتصورك حين طهرتك مغسلتُك ولفّتك في كفنك بسبع طبقات، كيف ابتسمتِ لها كما فعلت أول مرة لأمك في قماطك. لا أشك في ذلك. فقد عبرتِ من طهر الرحم إلى طهر القبر، اعرف هذا الآن. من التراب جئت وإلى التراب عدت"[6].
عدت"[6].

ـ **السجن:** المؤسسة التي يضبط فيها المخالفين للقانون، ومرتكبي الجرائم، تنعدم فيه الحرية الشخصية وتُسَير فيه الحياة وفق النظام المحدد من طرف المؤسسة العقابية، وفي رواية أنا وحاييم كان السجن معقلا للثوار، ومن يقدم يد العون لهم، ويتضح ذلك في قوله: ... ذاك الذي ألقي عليه القبض خلال الحرب وحكم عليه بالسجن عشرين سنة نافذة بتهم تقديم العون لجماعة إرهابية في المدينة ومساندة الفلاكة"[7].

من خلال هذا الفصل الذي درسنا فيه بنية الزمان والمكان في الرواية نستنتج أن الزمن في الرواية جاء مضطربا، فقد اعتمد الروائي على العودة إلى الماضي بكثرة أثناء سرده للأحداث، كما تنوعت الأمكنة في الرواية بين المغلوقة والمفتوحة، حيث ركز على الجزائر وأهم مدنها وشوارعها.

---

[1]ـ المصدر نفسه، 188.

[2]ـ المصدر نفسه، ص273.

[3]ـ الحبيب السايح، أنا وحاييم، ص176.

[4]ـ المصدر نفسه، ص292.

[5]ـ المصدر نفسه، ص102.

[6]ـ المصدر نفسه، ص200.

[7]ـ المصدر نفسه، ص264.

خـــاتمـــة

خاتمة

كما جرت سنة البحث كان لزاما علينا أن نسجل اهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، في حدود ما استطعنا إنجازه وقد تمثلت هذه الاستنتاجات في:

ـ تتعدد التعاريف اللغوية والاصطلاحية حول مفهوم البنية السردية على اختلاف النقاد والدارسين.

ـ يقوم العمل السردي على العناصر التالية: الحدث، الشخصية، الزمان، المكان.

ـ بطل الرواية "أرسلان حنيفي" هو نفسه الراوي، وهو الذي الشخصية المركزية التي تدور حولها كل الأحداث في الرواية.

ـ تعدد الأحداث وتغيرها، حيث أن كل فقرة من الرواية جاءت مؤرخة لزمن معين يخص الروائي.

ـ لعبت الشخصيات دورا كبيرا وطابعا واقعيا تماشى مع الأحداث والبنية المكانية والزمانية.

ـ اعتماد الحبيب السايح على الاسترجاعات والرجوع للخلف بكثرة، وهو أهم ما ميز الرواية وانتقاله بين الحاضر والماضي، لتوضيح الكثير من الأحداث لتنوير القارئ.

ـ تراوح توظيف الروائي للأمكنة بين المغلوقة والمفتوحة في الرواية، وتمكن الراوي من سردها والانتقال بينها بطريقة سلسة، تعرف القارئ عليها وتخلق لحمة بينها وبين العناصر السردية الأخرى.

ـ للمكان والزمان دورين كبير في تسيير الأحداث وتحريك الشخصيات مما أعطى دلالة عميقة للرواية.

ـ في رواية "أنا وحاييم" يؤرخ ـ ويعالج ـ الحبيب السايح حقبة زمنية مرت على الجزائر وهي فترة الاستعمار، ويسلط الضوء على الدعوة للاصطفاف حول الثورة، وثقافة التعايش مع الآخر في ظل الوطنية ونبذ الفرقة.

ـ من خلال دراستنا لعناصر الرواية شخصيات وزمان ومكان لاحظنا أن هناك علاقة ترابطية بينهم، فقد ساهمت جميع العناصر في تسلسل مسار الاحداث، كما أن الحبيب السايح قد نجح إلى حد بعيد في توظيف هاته العناصر والتنويع بينها بطريقة إبداعية.

وما هذا البحث إلا تجربة سالك سابق ليس له إلا حق الملاحظة، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطانا فمن أنفسنا والشيطان والله الموفق.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرءان الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر والمراجع:

2. أحمد رحيم كريم الخفاجي، مصطلح السرد في النقد الأدبي الحديث، مؤسسة دار الصادق الثقافية، دار صفاء عمان، ط1، 2012م.

3. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جيرا إبراهيم جيرا، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2001.

4. أمينة فزاري، سميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتب الحديثة للنشر، القاهرة، ط1، 2012.

5. جيرالد برنس، المصطلح السردي ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.

6. الحبيب السايح، أنا وحاييم، دار ميم للنشر، الجزائر، ودار مسيكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2018.

7. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات) المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1990.

8. حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1991.

9. ذويني خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط2، 2006م.

10. رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث، دراسته في المنجز النصي، افريقيا الشرق المغرب / لبنان، ط1، 1998.

11. سعيد يقطين، الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997م.

12. شادية شقروش، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، مصر، ط1، 2010.

13. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر (دط)، 2009.

14. صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جمالية السرد في الخطاب الروائي، دار مجد لاوي، الأردن، ط1، 1996.

15. صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، (دط)، 1998.

16. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2005م.
17. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان الأردن، ط4، 2008.
18. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات ومفاهيم)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1998.
19. عبد المنعم زكرياء القاضي، البنية السردية في الرواية، دار النشر للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، ط1، 2009م.
20. عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، دار الحداثية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
21. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.
22. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984.
23. فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
24. محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، مج1، ط1، 2008.
25. محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
26. محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004.
27. مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
28. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، دمشق (دط)، 2011.
29. يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللأنسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية الجزائر، (دط)، 2002م.

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم:

30. إبراهيم مصطفى والآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، مصر، 1989م.

31. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، ج4، 1979.

32. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992.

33. جبور عبد النور، المعجم الادبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

34. سمير حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، (عربي، فرنسي، إنجليزي)، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2001م.

35. السيد محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج9.

36. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1999م.

المجلات والدوريات:

37. أمال علي أبوشويرب، (سيمياء العنوان والغلاف في رواية ابراهيم الكوني (الدمية)). المجلة الجامعة، العدد 21، المجلد5، جامعة صبراته، أغسطس 2019.

المذكرات والرسائل الجامعية:

38. نورة بنت محمد بن ناصر المري، البنية السردية في الرواية السعودية رسالة دكتوراه، إشراف: محمد صالح بن جمال بدوي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008.

المواقع:

39. (moso3a-shamela.com) ، 22مارس 2019، بتاريخ 2021/04/02، الساعة: 22:30.

ملخص:

تمحورت الدراسة في هذا البحث حول البنية السردية، وفق مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب جزائري، والمسماة "البنية السردية في رواية أنا وحاييم للروائي الحبيب السايح"، وتعد البنية السردية من أهم ما أولاه النقاد والدارسون عناية خاصة، ذاك أنها تدرس الرواية من حيث الشخصيات الاحداث، و من حيث الزمان والمكان... ، وقد عمل البحث إلى تطبيق واستدراج البنية السردية على مدونة سردية جزائرية معاصرة وهي رواية أنا وحاييم للحبيب السايح ، حيث قامت الخطة على مقدمة، مدخل وثلاثة فصول، فتم تخصيص المدخل لقراءة وتحليل الرواية أما الفصل الأول فكان نظريا، وتم فيه التعريف ببعض المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالبنية السردية، كما ذكر فيه عناصر البنية السردية، أما الفصلين الآخرين فقد خصصا للجانب التطبيقي حول رواية أنا وحاييم وتم فيهما دراسة بنيات الأحداث والشخصيات ثم الزمان والمكان، وقد تم تتويج هذا البحث في الأخير بخاتمة احتوت أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: البنية، السرد، الرواية، الروائي، أنا وحاييم، الحبيب السايح.

Summary:

The study in this research centered on the narrative structure, according to the graduation note to obtain a master's degree in the field of Arabic language and literature, specializing in Algerian literature, called "Narrative structure in the novel of I and Haim by the Habib Al-Sayeh novelist" The narrative structure is one of the most important things that critics and scholars have given special attention. That is, it studies the novel in terms of the juvenile characters, and in terms of time and place ..., and the research has worked to apply and lure the narrative structure on a contemporary Algerian narrative code, which is the novel of Haim and I by Habib Al-Sayeh, where the plan is based on an introduction, an entrance and three chapters, so it was allocated The entrance to reading and analyzing the novel, while the first chapter was theoretical, and some terms and concepts related to the narrative structure were introduced, as well as the elements of the narrative structure. The other two chapters were devoted to the applied aspect about the novel of I and Haim, in which the structures of events and characters were studied, then time and place. This research culminated in a conclusion that contained the most important findings.

Key words: structure, narration, novel, novelist, Haim and I, Habib Sayeh.

الفهرس

الفهرس:

فهرس الموضوعات	**الصفحة**
البسملة	
شكر وتقدير	
إهداء	
مقدمة	أ-ب
مدخل: رواية أنا وحاييم ــ قراءة وتحليل ــ	4
الفصل الأول: البنية السردية مفهومها وعناصرها	13
أولا: مفاهيم ومصطلحات	13
ـ البنية	13
ـ السرد	14
ـ السردية	15
ـ البنية السردية	15
ثانيا: عناصر البنية السردية	16
ـ الحدث	16
ـ الشخصية	17
ـ الزمن	19
ـ المكان	23
الفصل الثاني: بنية الأحداث والشخصيات في رواية أنا وحاييم	26
أولا: بنية الأحدث في رواية أنا وحاييم	26
ـ أحداث رئيسية	26
ـ أحداث ثانوية	27
ثانيا: بنية الشخصية في رواية أنا وحاييم	32
ـ شخصيات رئيسية	32
ـ شخصيات ثانوية	35

ـ شخصيات مشاركة	38
ـ شخصيات غائبة	38
الفصل الثالث: بنية الزمان والمكان في رواية أنا وحاييم	41
أولا: بنية الزمان في رواية أنا وحاييم	41
ـ المفارقات الزمنية	41
ـ الاسترجاعات	41
ـ الاستباقات	44
ـ تقنيات زمن السرد	46
ـ تسريع السرد	46
ـ إبطاء السرد	47
ثانيا: بنية المكان في رواية أنا وحاييم	49
ـ أماكن مفتوحة	49
ـ أماكن مغلوقة	51
خاتمة	55
قائمة المصادر والمراجع	57
ملخص	60
الفهرس	62